

الرَّدُّ عَلَى الْقِسْ أَلْمُرِيكِي

فِي افْتِرَائَاتِهِ عَلَى رَسُولِ الْإِسْلَام

بقلم

د/ عبد المهدى عبد القادر عبد الهادى
أستاذ الحديث بجامعة الأزهر

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

مكتبة الإيمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

في هذه الفترة من تاريخ البشرية تحمل كثير من الدول حملة شعواء على الإسلام أمة وديناً ، ولم تقتصر حملتهم على القوة العسكرية والاقتصادية ، وإنما تعدت ذلك إلى الناحية الدينية ، وإلى الافتراء على رسول الله محمد ﷺ ، وظهرت الوسائل الحديثة لنشر المعلومات « الانترنت » فاستغلها هؤلاء للتئيل من السنة وصاحبها والإسلام عموماً ، وبين يدي صفحات من الانترنت منها ما هو لقس يدعى « جيري فالويل » ، ومنها ما هو لمجموعة سما الدولية ومنها ما هو لغير هؤلاء ، وقبل الرد أوضح النقاط الآتية :

١ - إن المسلمين لا يستطيعون مقابلة خطأ المسيحي أو اليهودي أو غيرهم في رسول الإسلام محمد ﷺ بالخطأ في عيسى أو موسى أو أى نبي ، أو أى دين ، ذلك أن المسلمين يؤمنون بكل رسل الله ، والإسلام لا يسمح لأى مسلم بالتجنى على الأنبياء ، أو محاولة تشويه الأديان ، وإنما يوجب عليهم الإيمان بكل رسل الله ، قال الله تعالى : ﴿ ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاَمَنَ بِاللّٰهِ وَمَلَكِهِ وَكِتَابِهِ ۚ لَا تَفَرَّقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۚ ﴾ (١) .

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٥ .

٢ - إن اعتراض أفراد على رسول الله ﷺ اعتراض غير مقبول ، ذلك أن رسول الله ﷺ اصطفاه الله وأرسله رحمة للعالمين ، ومدحه ربنا في القرآن الكريم ، وفي التوراة والإنجيل ، واعترف بذلك المنصفون من اليهود والنصارى ^(١) ، ومدحه عارفوه من أهل زمانه وأسلموا ، وتفانوا في نصرته ، وأثنى عليه المنصفون ممن درسوا سيرته بصدق ، سواء من أمته أو من غير أمته ^(٢) ، فمثل هذا النبي لا يليق إلا أن يُقتدى به ، وتهتدى البشرية بهديه ، إنه فوق النقد وفوق الاعتراض عليه ، إنه أرسله الله بدين يرسم للبشرية طريق السعادة ، والعقلاء يحرصون على الاستفادة من هذا الدين على طول تاريخ البشرية .

يقول المسيو ديسون الألماني : وكل من يكتب عن محمد ودينه ما لا يجوز فإنما هو من قلة التدبر وضعف الاطلاع ^(٣) .

ويقول العلامة إلياس جون جيب الإنجليزى : عقيدة محمد خالصة ليس فيها لبس ولا إبهام ، ومن يتهمها بما يتنافى مع كرامتها فإنما هو متهم في فهمه ووجدانه ^(٤) .

٣ - من المُسلّمات عالميًا أن كلام الإنسان لا يقبل في عدوه ،

-
- (١) راجع الاجتماع رقم ١٤٩ بتاريخ ١٤/١٠/١٩٦٥م بمدينة الفاتيكان - الفقرة الخاصة باحترام الكنيسة المسلمين . وراجع : محمد رسول الله هكذا بشرت الأنجيل - تأليف / بشرى زخارى ميخائيل ص ١٢٠ طبعة عالم الكتب . وراجع كتاب « المسيح أمام المسلمين » د/ ميشال الحائك ، أستاذ بالمعهد الكاثوليكي بباريس .
- (٢) راجع كتاب « محمد عند علماء الغرب » للشيخ خليل ياسين .
- (٣) نقلًا عن كتابه « الحياة والشرائع » .
- (٤) نقلًا عن كتابه « العرب قبل الإسلام وبعده » .

وعليه فأعداء الإسلام ، وأعداء رسول الله كلامهم غير مقبول في دائرة الإسلام عند عقلاء العالم ، وإذا قبله المعادون فلا عبرة بكل ذلك .

٤ - إن تطاول البعض على رسول الإسلام ليس جديداً وليس غريباً ، فكم تطاول الأشرار على الأنبياء ، عذبوهم وقتلوهم ، وشر هؤلاء موجود إلى الآن !! يتطاولون على الأخيار ، ويؤذون الصادقين ، فتطاولهم على رسول الله محمد ﷺ ظاهرة صحية ، تدل على حيوية دينه ، وعظمة رسالته صلى الله عليه وسلم .

٥ - إن هؤلاء المتطاولين على رسول الله ﷺ يزجون بأممهم إن كانت قوية في الظلم والإفساد ، وإن كانت ضعيفة في المزيد من الضعف والاستعباد ، وواجب العقلاء إزاء ذلك إسكات هؤلاء ونصرة الحق .

٦ - إن هؤلاء القساة يصوّرون أنفسهم وكأنهم المسالمون المنصفون وواقعهم وكتاباتهم تثبت عكس ذلك ، فأناس يغالطون ويفترون إنما هم ليسوا على حق .

٧ - إن هؤلاء المتطاولين على رسول الله محمد ﷺ الحق أمامهم أبلج ، لكنهم يحددون عنه . والرد عليهم نوع من بيان الحق لهم وللجميع ، والحق أحق أن يُشهر وينصر .

من هنا كتبت هذا الرد ، نصيحة للجميع ، وإظهاراً للحق لطلابه ، والله الهادي إلى الصراط المستقيم .

عبد المهدى

المعادي في جمادى الأولى ١٤٢٥ هـ

يوليو ٢٠٠٤ م

الرد على القس جيري فالويل ومن على شاكلته

ادعائهم أن محمداً يَفْتُل :

يدعى القس جيري فالويل : بأنه - ومن خلال كلام شيخ الأزهر - يظهر أن محمداً رسول الإسلام إرهابي !!

وراح القس يقول : إن شيخ الأزهر قد عرّف الإرهابي بأنه الذى يعتدى على أنفس الناس ، ورسول الإسلام قد اعتدى على الكثير من أنفس الناس ، وذكر من ذلك :

أولاً : أخرج البخارى عن أبى قلابة عن أنس قال : قدم أناس من عُكَل أو عُزَينة فاجتووا المدينة ، فأمرهم النبى ﷺ بلقاح ، وأن يشربوا من أبوالها وألبانها فانطلقوا . فلما صَحُوا قتلوا راعى النبى ﷺ ، واستاقوا النعم ، فجاء الخبر فى أول النهار ، فبعث فى آثارهم ، فلما ارتفع النهار جيء بهم ، فأمر فقطع أيديهم وأرجلهم ، وسُمرت أعينهم ، وألقوا فى الحرة يستسقون فلا يسقون .

قال أبو قلابة : فهؤلاء سرقوا ، وقتلوا ، وكفروا بعد إيمانهم ، وحاربوا الله ورسوله ^(١) .

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى - ج ٢ - ص ٣٣٥ رقم ٢٣٣ وفيه ذكر أرقام بقية رواياته فى صحيح البخارى .

يقول القس : المشكلة هي أن رسول الله الذي ينهى عن المثلة يقوم هو بنفسه فيمثل بهؤلاء القوم فيقطع أيديهم وأرجلهم ويسمر أعينهم ؛ لأنهم قتلوا راعيه . ولو قال الراوى بأن هؤلاء القوم مثلوا بالراعى لكان للنبي عذر في المعاقبة بالمثل ، ولكن ذلك غير وارد ، وكيف يقتلهم رسول الله ويمثل بهم هذه المثلة بدون بحث وتحري عنهم حتى يتبين مَنْ القاتل منهم فيقتله به ؟

ولعل البعض يقول بأنهم شاركوا جميعاً في قتله ، أفلم يكن في وسع الرسول ﷺ أن يعفو ويصفح عنهم ؛ لأنهم مسلمون . بدليل قولهم يا رسول الله ؟ ألم يسمع رسول الله ﷺ قول الله تعالى : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُمْ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴾ (سورة النحل ، الآية : ١٢٦) انتهى كلام القس .

ويذكر الحديث نفسه مجموعة سما الدولية ، يستدلون به على أنه صلى الله عليه وسلم لم يرحم .

تفنيد هذا الافتراء :

وأقول لهذا القس : إن ادعاءك أن رسول الله ﷺ مثل بهم ادعاء كاذب ، فرسول الله ﷺ لم يمثل بهم ، وإنما اقتصر منهم .

وقولك : ولو قال الراوى بأن هؤلاء القوم مثلوا بالراعى لكان للنبي عذر في المعاقبة بالمثل ولكن ذلك غير وارد . انتهى كلامك .

أقول : كلامك هذا عار عن الصحة ، خال عن منهجية البحث العلمى ، وكان اللائق وأنت تريد أن تتكلم في حق نبي مرسل أن تتحلى بروح البحث العلمى ، من الدقة والنزاهة ،

وكلامك عار عن الأمرين . ففى رواية هذا الحديث عند مسلم
١٢٩٨ / ٣ رقم ١٤ يقول أنس : إنما سمل النبي ﷺ أعين أولئك
لأنهم سملوا أعين الرعاء أ. هـ . والسمل والسمر بمعنى واحد
وهو فقء العين .

وقول أنس راوى الحديث هذا القول يظهر خطأك ويقبح
كلامك وأنت تقول : ولو قال الراوى . . ولكن ذلك غير وارد .
لا أيها القس ، إن هذا ورد ، وفى أصح كتب السنة ، لكنك
ناقص البحث أو متعصب ، وهاتان تجعلنا لا نقبل كلامك ،
وتجعل كل عاقل يشمئز من تطاولك المبني على الجهل .

إن رسول الله محمدًا ﷺ لم يُمَثَّل بالقتلة ، وإنما امتثل فيهم
قول الله تعالى : ﴿ فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعِدُوا عَلَيْهِمْ يَمْثِلُ مَا أَعْتَدَىٰ
عَلَيْكُمْ ﴾ (سورة البقرة ، الآية : ١٩٤) .

إن هؤلاء الذين قدموا على رسول الله ﷺ فأسلموا ، وأقاموا
فى المدينة يكرمهم ويعتنى بشئونهم ، هؤلاء حينما صحوا وتفردوا
بالرعاة قتلوهم ، ومثلوا بهم ، وسرقوا الإبل !!!

وليست جريمتهم ذلك فقط ، وإنما جريمتهم الأساسية أنهم
خرجوا على الدولة ، وتمردوا على نظام الأمة ، هذا الذى يسمى
فى زماننا « الخيانة العظمى » ولذلك يقول أبو قلابة - راوى
الحديث عن أنس - فهؤلاء سرقوا وقتلوا ، وكفروا بعد إيمانهم ،
وحاربوا الله ورسوله .

إن عقوبة هؤلاء كما قال الله : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .
(سورة المائدة : آية ٣٣)

قتل العرنيين وتفنيد ذلك :

والقس يطلب من رسول الله أن يبحث وأن يتحرى عنهم حتى يتبين من القاتل فيقتله .

وواضح من الروايات أن الجريمة كانت من الجميع ، فكلهم خان ، وكلهم قتل ، وكلهم أخذ الإبل وهرب ، بدليل أن القافلة التي أرسلها رسول الله ﷺ تبحث عنهم وجدتهم جميعاً ، وأحضرتهم أجمعين .

وما خفى على القس أو أخفاه على القارئ أن أحد الرعاء نجا ، وهذا حمل الخبر بكامله إلى رسول الله ﷺ ، وأيضاً فإن هؤلاء العرنيين لم يقتلوا واحداً وإنما قتلوا راعى إبل رسول الله ﷺ وقتلوا رعاء إبل الصدقة ، ولذا جاء في رواية هذا الحديث عند مسلم « ثم مالوا على الرعاة فقتلوه وارتدوا عن الإسلام ، وساقوا ذود رسول الله ﷺ » (١) .

والقس جبرى فالويل ومجموعة سما الدولية متحسرون جداً أن رسول الله ﷺ لم يعف عن القتلة !! وراح يقول : ألم يسمع

(١) مسلم (١٢٩٦/٣) رقم ١٦٧١/٩ .

رسول الله قول الله له : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُمْ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴾ (سورة النحل ، الآية : ١٢٦) .

والقس يتعمى عن أن الآية في الحقوق الشخصية كما اعترف هو ، وأنها كانت في شأن حمزة عم رسول الله ﷺ ، ورسول الله ﷺ وليه . إن الآية تخاطب من كان له قصاص على الغير ، فمن جرحه شخص في ذراعه فليجرحه مثلها لا يزيد ، والعفو أولى . أما الحقوق العامة كجريمة هؤلاء الخارجين فليس للإمام أن يترك عقابهم ، وترك العقوبة هنا ليس عفواً ، وإنما تضييع للحقوق ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « تعافوا الحدود فيما بينكم ، فما بلغنى من حد فقد وجب »^(١) .

إن جهل القس واضح ، وجلى أنه يريد تخطئة رسول الله ﷺ ، وجهل هذا المتكبر أن رسل الله معصومون ، لا يخطئون ، ولا يضلون ، وإنما يتبعون وحى الله إليهم ، وعلى الأمة أن تتبعهم لا أن تعترض عليهم . يقول الله تعالى في شأن رسوله محمد ﷺ : ﴿ وَالنَّجْوَى إِذَا هُوَ ﴿١﴾ مَا صَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطَلِقُ عَنِ الْمَوْتَى ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ ويقول سبحانه أيضاً : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ ويقول أيضاً : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ .

(النجم الآيات : ١ - ٤ ، ١١ ، ١٧)

وإن القس وقد تعامى هكذا ، وراح يضلل فإنى أتركه وباطله ، وإنما أكتب لأبين الحق لطلاب الحق .

(١) أخرجه أبو داود في الحدود باب يعفى عن الحدود ما لم تبلغ السلطان (٤٠/١٢) « عون المعبود » رقم ٤٣٥٤ .

تحريق المتأخرين عن الجماعة وتفنيدهم ذلك :

ثانياً : ويستطرد القس في ضلالاته ، ويقول : إن رسول الله محمدًا ﷺ كان من إرهابه أنه هَمَّ بإحراق قوم في منازلهم ، وساق حديث هَمَّ رسول الله ﷺ بتحريق المتخلفين عن صلاة الجماعة ، لكنه ساقه من كتاب ليس مصدرًا للسنة ، فأسوقه أنا من صحيح البخارى ، فعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « والذي نفسى بيده ، لقد هممت أن أمر بحطب فيحطب ، ثم أمر بالصلاة فيؤذن لها ، ثم أمر رجلاً فيؤم الناس ، ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم ، والذي نفسى بيده لو يعلم أحدهم أنه يجد عرقاً سمياً أو مرماتين حستين لشهد العشاء »^(١) .

وأقول : أى إرهاب فى هذا ؟ إنه صلى الله عليه وسلم لم يحرق أحداً ، ولم يعنف أحداً ، ولم يذكر أحداً باسمه ، وإنما نقر من ترك الصلاة فى الجماعة ، ويعبر صلى الله عليه وسلم عن هذا التنفير بأنه هَمَّ أن يحرقهم ، إن هذا الأسلوب يفيد أنه صلى الله عليه وسلم يحذر من ترك الجماعة كل التحذير ، وينقر منه كل التنفير ، وذلك لعظم مكانة الصلاة ، وعظيم فضل الجماعة .

لقد قال صلى الله عليه وسلم : إنه هَمَّ ، والهم أقل من العزم ، أى أنه لا يرضى ترك الجماعة ، ويغضبه ذلك ، حتى إنه جال بخاطره أن يحرقهم ، لكنه - وهو الرسول المطاع - لم يعزم ، ولم يحرق ، فأين الإرهاب ؟

أتتهم رسول الله بالأرهاب لمجرد خاطرة خطرت له فى شأن

(١) البخارى كتاب الأذان - باب وجوب صلاة الجماعة (١٢٥/٢) رقم ٦٤٤ .

المتهاونين بأفضل عبادة ؟ كان الأولى بك أن تقول : لقد كان هذا الرسول حريصاً على طاعة ربه وصلاح حال أمته . وهو الذى قال الله فى شأنه ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة، آية : ١٢٨) وقال فيه ربنا أيضاً : ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتًا ﴾ (فاطر، آية : ٨) لكنك قلبت الحقائق أيها القس !!

لقد ترك لنا صلى الله عليه وسلم هذا الحديث ، والذى فيه هذا الهم ليحثنا كثيراً على عبادة الله على خير وجه ، فرحت تجعل الحديث سبباً لاتهام الرسول العظيم بالإرهاب ، ونسيت أنه هم ولم يفعل ، أما أنتم فتقتلون البشر بمئات الملايين بأقوى المتفجرات ، عجبت لك ، وعجبت لقومك !!

والعجيب أنك تتمسح فى قول شيخ الأزهر : الإرهابى هو الإنسان الذى يعتدى على أنفس الناس . . فهل اعتدى رسول الله ﷺ هنا على نفس أحد ؟ لا ، وألف لا . وعليه فلا رسول الله إرهابى ، ولا شيخ الأزهر اتهمه دون أن يدري ، وإنما أنت الذى تقلب الحقائق ، والله يقول : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾ (إبراهيم ، آية : ٤٢) .

وأخرى أيها القسيس فإن رسول الله ﷺ لم يقل : « وأحرقوهم » وإنما قال : « احرق عليهم بيوتهم » والفرق بين التعبيرين عظيم ، فالأول : يفيد إحراق الناس ، وهو لم يقله صلى الله عليه وسلم . والثانى : يفيد تحريق البيوت على من فيها ، مما يجعلهم يخرجون منها ، وليس بلازم أن يُحرقوا هم .

وقد جاء في إحدى روايات هذا الحديث وهو حديث أسامة بن زيد قال : قال رسول الله ﷺ : « ليتتهن رجال عن ترك الجماعة أو لأحرقن بيوتهم »^(١) .

لقد هَمَّ صلى الله عليه وسلم بإتلاف سبب المعصية ، وهذا أمر مألوف عالميًا .

ثالثًا : ويغالى القس فيقول : لكننا نجده - يعنى رسول الله محمدًا ﷺ - يعدل عن طريقة الانتقام منهم ، ويأمر بقطع أرجلهم وأيديهم بدلاً من أن يحرقهم .
قطع يدى ورجلى هبار وتفنيده ذلك :

ويسوق القس خبرًا عن البلاذرى يقول : روى أن هبار بن الأسود كان ممن عرض لزينب بنت رسول الله ﷺ حين حُملت من مكة إلى المدينة ، فكان رسول الله ﷺ يأمر سراياه إن ظفروا به أن يحرقوه بالنار ، ثم قال : « لا يعذب بالنار إلا رب النار » وأمرهم إن ظفروا به أن يقطعوا يديه ورجليه ويقتلوه .

وهذه مغالطات مركبة من هذا القس :

أما المغالطة الأولى : فهي إن الرسول ﷺ لم يعدل عن التحريق إلى قطع الأيدي والأرجل ، وإنما هم بتحريق تاركى الصلاة فى الجماعة ، ولم ينفذ .

أما المغالطة الثانية : فهي إن رسول الله ﷺ لم يقطع أيدى وأرجل أحد ، ولا أمر بذلك ، والقس يتجنى على الحقيقة ،

(١) أخرجه ابن ماجه رقم ٧٩٥ .

ولست أدري أذفعه لهذا تعصبه ، أو عدم كفاءته لدراسة كتب الإسلام ؟ الواضح التعصب !!

فهذه رواية ابن هشام عن ابن إسحاق بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بعث رسول الله ﷺ سرية أنا فيها ، فقال لنا : إن ظفرتم بهبار بن الأسود ، أو الرجل الذي سبق معه إلى زينب - قال ابن هشام : وقد سمي ابن إسحاق الرجل ، وقال : هو نافع ابن عبد قيس - فحرقوهما بالنار .

قال : فلما كان الغد بعث إلينا ، فقال : « إنى كنت أمرتكم بتحريق هذين الرجلين إن أخذتموهما ، ثم رأيت أنه لا ينبغي لأحد أن يعذب بالنار إلا الله ، فإن ظفرتم بهما فاقتلوهما » ^(١) . وهكذا يتضح أنه صلى الله عليه وسلم لم يأمر بقطع يدي ورجلي هبار !!

أما المغالطة الثالثة : فهي اعتبار القس كل قتل إرهاب ، وهذا خطأ لا يخفى على من له مسكة من عقل .

إن رسول الله ﷺ أمر بقتل هبار وما ذلك إلا لأنه قتل وأصاب !! يقول ابن عبد البر : وتوفيت زينب بنت رسول الله ﷺ في حياة رسول الله ﷺ سنة ثمان من الهجرة ، وكان سبب موتها أنها لما خرجت من مكة إلى رسول الله ﷺ عمد لها هبار بن الأسود

(١) السيرة النبوية لابن هشام - المجلد الأول ص ٦٥٧ .
وأخرجه البخاري رقم ٣٠١٦ والترمذي ١٥٧١ ، والحاكم ٤٣/٤ ، وهو في مجمع الزوائد ٢١٢/٩ .

ورجل آخر ، فدفعها أحدهما فيما ذكروا ، فسقطت على صخرة فأسقطت وأهراقت الدماء ، فلم يزل بها مرضها ذلك حتى ماتت سنة ثمان من الهجرة^(١) .

إن هبار بن الأسود تعرض لزينب بنت رسول الله ﷺ ، وهى مهاجرة ، فروّعها حتى سقطت من هودجها على صخرة ، فأسقطت ما فى بطنها ، وظلت تنزف حتى ماتت ، فهل يرى القس [جبرى فالويل] أن الأمر بقتله إرهاب !!

إن رسول الله ﷺ لم يأمر بقتل هبار وهو معتدل مستقيم ، وإنما أمر بقتله لما اقترفه من إجرام ، وكل دول العالم لها قوانين للعقوبات فيها النص على قتل مَنْ قتل ، وكم من حاكم قتل جانيًا ، ولا يقال : إن الحاكم إرهابي ولا مجرم ، وإنما الإرهابي والمجرم هو الجاني .

أما المغالطة الرابعة : فهى إن رسول الله ﷺ لم يمس هبار بن الأسود بأى أذى ، فلم يقطع يديه ولا رجله ، ولا قتله !! فكيف تتهمه بالإرهاب !!

إننى أتساءل مع هذا القس : إنك تدعى أن رسول الإسلام إرهابي لأنه قطع أيدى وأرجل أناس ، وقتل أناسًا ، وأنت لا تستطيع أن تذكر واحدًا من هؤلاء ، فمن قطع رسول الله يديه ؟ ومن قطع رسول الله رجله ، ومن قتله رسول الله ؟ إنه صلى الله عليه وسلم لم يقتل ولم يمثل . لقد عفا صلى الله عليه وسلم عن

(١) الاستيعاب (٤/ ١٨٥٤) .

هبار بن الأسود الذى قتل زينب بنته ﷺ ، وقتل الجنين الذى كان فى بطنها !! كما عفا عن وحشى قاتل حمزة عمه ﷺ !! ومشركوا مكة أخرجوه ، وحاولوا قتله لولا عناية الله ، وقتلوا بعض أصحابه ، فلما فتح الله عليه مكة عفا عنهم ، ولم يثار منهم .

إن مواقف العفو فى حياته صلى الله عليه وسلم كثيرة ، من قرأها بشيء من الإنصاف اعترف له صلى الله عليه وسلم بمكارم الأخلاق ، وماذا بعد قول الله سبحانه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء ، آية : ١٠٧) إلا أن أعداءه صلى الله عليه وسلم كثير منهم لا يصل فى الأخلاق درجة الإنصاف ، فراحوا يفترون ويكذبون عليه صلى الله عليه وسلم ، كما قال الشاعر :
وعين الرضا عن كل عيب كليلة
وعين السخط تبدى المساويا

حمل رأس الأسود إلى المدينة وتفنيده :

رابعاً : والقس غضبان أن الصحابة قتلوا الأسود العنسى ويدعى أنهم حملوا رأسه إلى رسول الله ﷺ فى المدينة ، ويسوق خبراً عن عبد الله بن الديلمى عن أبيه فيروز الديلمى قال : أتينا رسول الله ﷺ برأس الأسود العنسى الكذاب .

وأقول له : هذا الخبر شاذ ، لا يقبل فى مدرسة الإسلام ، ونحن معشر المسلمين نتعامل مع النصوص وفق أصول علمية ، فأخبار الثقات تقبل ، وأخبار الفاسقين لا تقبل ، وليس هذا عند أمة أخرى ، فعلم نقد الأخبار سنداً ومتناً من خصوصيات أمة الإسلام .

إن خبر نقل رأس الأسود من اليمن إلى المدينة غير صحيح ،
رده كثير من علماء المسلمين ، منهم الحافظ بن عبد البر المتوفى
سنة ٤٦٣هـ رده في الاستيعاب - ج ٣ ، ص ١٢٦٥ ، ورده
كذلك الحافظ ابن حجر المتوفى سنة ٨٥٢هـ رده في الإصابة
(٣٨١ / ٥) في ترجمة فيروز الديلمي ، ومنشأ رده أن في إسناده
ضمرة بن ربيعة لم يوافقه أحد عليه ، وعارضه ما هو أقوى منه .
ويقيني أن القس لا يفهم هذا الكلام ، لكنى لست أكتب له
وحده ، إنما أكتب لطلاب الحق ، والعلماء الباحثين عن الصدق
من غير المتخصصين في السُّنة النبوية والسيرة العطرة . أما
المتخصصون في السُّنة والسيرة فإنهم يعلمون بوار كلام القس
وأشباعه بأكثر من وجه .

إن الأسود العنسى أسلم ، ثم ارتد ، وهو من أول المرتدين ،
وخرج على دولة الإسلام وراح يستولى على الحكم في بلاد اليمن
عنوة وقسراً ، فاضطهد الكثيرين ، ونهب الأموال ، واستباح
الدماء ، وانتَهك الأعراض ، ومَن قتلهم شهر بن باذان حاكم بلاد
اليمن لرسول الله ﷺ ، قتله الأسود وأخذ زوجته زاذ رغم أنفها .
لقد كان الأسود رجلاً قاسياً غاية في الإجرام ، وصفته زاذ
هذه فقالت : ما يقوم لله على حق ، ولا ينتهى له عن حرمة ^(١)
لقد اضطهد الناس في دينهم ، وادعى النبوة ، وأرغم
الكثيرين على اتباعه ، وكانوا جميعاً يعلمون كذبه !!

(١) كذا في البداية - ج ٦ ، ص ٣٤٨ .

ومن هنا عمل كل الناس على قتله ، وانبرى لذلك فيروز الديلمي الرجل المسلم ، وعاونته زاذ هذه السيدة التي كانت زوجة « شهر بن باذان » حاكم اليمن المسلم ، وأبوه باذان كان أيضًا حاكم اليمن للفرس ثم أسلم ، وزاذ ابنة عم فيروز الديلمي ، وفيروز ابن أخت النجاشي ملك الحبشة ، فهما من أسرة جمعت بين الدين والملك ، ولقد تعاون معهم آخرون ، وقتلوا الأسود لما ارتكبه من ظلم فاق كل تصور ، فأى إرهاب فى هذا ؟!!

لقد صادر الأسود حريات الناس ، وقتل واغتصب ، وأهلك عبادًا وبلاذًا ، فأى إرهاب فى قتله ؟!!

إن القس يصنع من هذا الخبر - قتل الأسود العنسى - دليلًا على أن رسول الإسلام إرهابى !! عجبت لك فما أكثر إرهابك : تضليل علمى ، وجرأة على رسل الله ، وإهانة لملايين المسلمين ، وغرتكم قوتكم ، وما منعكم خلق ولا دين .

التمثيل بالقتلى وتفنيده :

خامسًا : ويدعى القس : أن رسول الله يعشق الانتقام !! ويستدل على ذلك بأنه حينما مثل المشركون بحمزة عمه ﷺ قال : والله لأمثلن بسبعين منهم مكانك . ويوافق في هذا مجموعة سما الدولية .

وأقول له : ظلمت أيها القس ، وما يزيد من بشاعة ظلمك أن ظلمت رسول الله ﷺ الذى قال الله فيه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء ، آية : ١٠٧) يا أيها القس ، إن رسول الله

ﷺ لم يمثل بأحد ، وإنما عفا وصبر .

وتفصيل القول : إنه في غزوة أحد ، قتل المشركون من المسلمين سبعين رجلاً ، ومبالغة في القسوة مثلوا بهؤلاء القتلى ، فقطعوا أنوفهم ، وآذانهم ، وشقوا بطونهم ، وشقوا بطن حمزة - عم رسول الله ﷺ - واستخرجوا كبده ، ومضغتها هند بنت عتبة !!

ولما رأى رسول الله ﷺ والمسلمون ما فعله المشركون - من التمثيل بالقتلى - حزنوا كثيراً ، وتوعدوا أن يمثلوا بقتلى المشركين في أقرب معركة ، وقال رسول الله ﷺ « لئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلن [بثلاثين] رجلاً منهم » ذكره ابن كثير في السيرة (٤/٤٥) من البداية ونقله عنه القس .

واعجب معي أيها القارئ : فالذى في السيرة - المصدر الذى نقل عنه القس - لأمثلن [بثلاثين] لكن القس زاد ذلك فجعله [سبعين] واستغرب معي على الخيانة العلمية !!

ولقد راجعت سيرة ابن إسحاق التى نقل عنها ابن كثير ، فوجدت العدد فيها أيضاً [ثلاثين] .

وأتساءل مع القس وأشياعه : لقد مثل المشركون بقتلى المسلمين ، فهل إذا مثل رسول الله ﷺ والمسلمون بقتلى المشركين يكون إرهاباً ؟

إن هذا لا يوجد في منطق أى طائفة في العالم قديمه ومعاصره ، ونجيم العقلاء على أن هذا ليس إرهاباً ، وإنما هو المعاملة بالمثل .

إنهم بشر لهم دين : إن إخبار رسول الله ﷺ والمسلمين بأنهم

سيقتصون من المشركين ، هو طبيعة البشر ، إلا أن هؤلاء يفوقون البشر في أن لهم دينًا ينهاهم عن الإرهاب «الإجرام» ويأخذ بأيديهم إلى مكارم الأخلاق .

فعن أبي بن كعب أنه أصيب من الأنصار يوم أحد أربعة وستون ، وأصيب من المهاجرين ستة فيهم حمزة ، فمثلوا بقتلاهم ، فقالت الأنصار : لئن أصبنا منهم يومًا من الدهر لثزيبن - لنزیدن - عليهم ، فلما كان يوم فتح مكة نادى رجل لا يعرف : لا قريش بعد اليوم . مرتين ، فأنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴾ (النحل ، آية : ١٢٦) .

فقال النبي ﷺ : كُفُّوا عن القوم ^(١) ، وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال : نصبر يا رب ، نصبر ، ونهى عن المثلة .

وهكذا توعد رسول الله ﷺ الطغاة ، وجاءت الآية توضح جواز القصاص ، وأن العفو أفضل ، فأخذ صلى الله عليه وسلم والمسلمون بالعفو الذي مدحه الله في قوله ﴿ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴾ مما معه يتضح أنه صلى الله عليه وسلم وأمته يفضلون ما يشير القرآن لفضله ، وأنه ما كان صلى الله عليه وسلم يعشق الانتقام الذي يدعيه القس وأضرابه !!

إنه صلى الله عليه وسلم لم ينتقم ، ولم يمثل بأحد ، على الرغم من فعلة المشركين الشنعاء ، وإنما عفا وصبر ، وكم عفا وكم

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٣/٢٨٩) .

صبر ، وكم عفا وكم صبر . . إلا أن القس وأشياعه يرفضون الحق الذى هو أبلج ، ويتهمونه صلى الله عليه وسلم بعشق الانتقام ، ووالله ما انتقم ولا مثل ، ولكنهم هم الظالمون .

٦ - ويضيف القس قائلاً :

ثالثاً : محمد يجلد ويسب ويلعن . ويستدل على ذلك بحديث أخرجه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اللهم إنما محمد بشر ، يغضب كما يغضب البشر ، وإنى قد اتخذت عندك عهداً لن تخلفنيه . فأيا مؤمن أذيت ، أو سببت ، أو جلدته ، فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة » ^(١) .

وأقول لهذا القس : إن هذا الحديث ليس فيه أنه صلى الله عليه وسلم جلد أحداً أو سب أحداً ، أو لعن أحداً !!

وإنما يثبت الحديث قمة الورع له صلى الله عليه وسلم ، فإنه سأل ربه سبحانه وتعالى أنه لو حدث هذا فليكرم سبحانه هذا المسلم ، ويجعل ما وقع من رسول الله كفارة وقربة وزكاة وطهوراً له ، بمعنى أن ما وقع من رسول الله لمسلم يجعله الله سيياً لمغفرة سيئات هذا المسلم ، أو زيادة فى حسناته .

إنه صلى الله عليه وسلم يخشى على أمته ، فهو مستجاب الدعوة ، ويخشى على نفسه فهو يخاف الزلة مهما دقت ، حتى إنه

(١) مسلم (٢٦٠١/٩١) ، والبخارى رقم ٦٣٦١ .

يستغفر إذا غفل عن ذكر الله طرفة عين ، ومن هنا فقبل أن يحدث شئ من ذلك دعا الله أن لا يستجيب دعوته على مسلم ، وأن يجعل كل ما يصدر منه خيرًا وبركة على هذا المسلم ، وبذا يكون هذا المسلم رابحًا ، ويكون رسول الله ﷺ أيضًا رابحًا ، وربنا هو الغفور الرحيم ، الحليم الكريم .

إن رسول الله محمدًا ﷺ إنسان لا يخرج الغضب عن الحق ، قال له عبد الله بن عمرو بن العاص : إني أكتب كل شئ سمعته منك فنهتني قريش ، وقالوا : إن رسول الله ﷺ يتكلم في الرضا والغضب فأمسكت . فقال له صلى الله عليه وسلم : « اكتب فوالذي نفسى بيده ما خرج منه إلا حق » وأشار صلى الله عليه وسلم إلى فيه .

وهو صلى الله عليه وسلم لا ينتقم لنفسه ، وإنما ينتقم إذا حدثت معصية ، قالت عنه أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها : ما انتقم صلى الله عليه وسلم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمة من حرّمات الله .

وعليه فإذاؤه صلى الله عليه وسلم أحد المسلمين إنما مبعثه الغضب لله ، حياء من الله أن ترتكب معاصيه ، وشفقة على المسلم الذى عصى الله أن تحل به عقوبة ، وكل هذا خير وبر ، طاعة لله ، وشفقة على عباد الله .

ومن هنا قال العلماء فى شرح هذا الحديث : وفى الحديث كمال شفقتة صلى الله عليه وسلم على أمته ، وجميل خلقه وكرم

ذاته ، حيث قصد مقابلة ما وقع منه بالجبر والتكريم^(١) .

هذا قول العلماء بالكتاب والسنة ، المسلمون الذين يقبل قولهم ، أما القس فراح يتخذ من الحديث منطلقاً لوصف رسول الله ﷺ بصفات سلبية ، وما ذلك إلا للعصية والجور .

أقول لكل من قرأ كلام هذا القس : إن هذا الحديث يبين كريم خلقه صلى الله عليه وسلم ، وهناك أحاديث أخرى تبين الكثير من كريم خلقه صلى الله عليه وسلم ، اقرؤا إكرامه صلى الله عليه وسلم بنت حاتم الطائي العربي المشهور بالكرم ، حتى إن هذه السيدة رجعت إلى أخيها (عدى بن حاتم الطائي) وقالت له : إن هذا الرجل لا يمكن أن يكون إلا نبياً ، فأسرع إليه يا عدى وأسليم على يديه . أما قرأتكم عفوه عن مشركى مكة ، وكانوا قد قتلوا وعذبوا الكثيرين من أصحابه صلى الله عليه وسلم ، وحاولوا قتله مراراً ، فلما فتح الله عليه مكة عفا عنهم جميعاً ، وقال قولته الشهيرة : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

وكان صلى الله عليه وسلم يعطى القصاص من نفسه !!

يقول أبو سعيد الخدري : بينما رسول الله ﷺ يقسم قسمًا أقبل رجل فأكب عليه^(٢) فطعنه رسول الله ﷺ بعرجون^(٣) كان معه ، فجرح بوجهه ، فقال له رسول الله ﷺ تعال فاستقد^(٤) ،

(١) فتح الباري شرح حديث رقم ٦٣٦١ ، ج ١١ ، ص ١٧٢ .

(٢) أراد الرجل أن يأخذ دون مراعاة للنظام والعدل .

(٣) ما يكون فيه بلع النخيل .

(٤) أى خذ حقه قصاصاً .

قال : بل عفوت يا رسول الله ^(١) إنه على الرغم من تسرع الرجل إلا أن رسول الله ﷺ يعطيه حق القصاص ، سبحانه الله !! إنه صلى الله عليه وسلم ضربه ليؤدبه ، فلقد خالف الأدب ، فإذا كان الإمام يقسم مالا ، فلينتظر كل حتى يأتي دوره إلا أن هذا الأعرابي لم يراع هذا ، فضربه صلى الله عليه وسلم ، فتأدب الرجل ، فعرض عليه صلى الله عليه وسلم أن يأخذ حقه ، وأن يضرب رسول الله ﷺ كما ضربه رسول الله إلا أن الرجل فضل العفو .

وعن أسيد بن حضير - صحابي من الأنصار أهل المدينة - قال : بينما هو يحدث القوم وكان فيه مزاح بينا يضحكهم فطعنه النبي ﷺ في خاصرته بعود . فقال : اصبرني ^(٢) قال : اصطر ^(٣) ، قال : إن عليك قميصا وليس علي قميص ، فرفع النبي ﷺ عن قميصه ، فاحتضنه ، وجعل يقبل كشحه ^(٤) . قال : إنما أردت هذا يا رسول الله ^(٥) .

إنه صلى الله عليه وسلم يعطى القصاص من نفسه ، وبالظروف ذاتها ، مع أن فعله له ما يبرره ، فإنه لا يشرع أن

-
- (١) أخرجه أبو داود في الديات - باب القود من الضربة (٢٦٨/١٢) رقم ٤٥١٣ - عون المعبود .
(٢) أى مكئى من استيفاء حقى ، أقتص فأطعن في خاصرتك كما طعنتنى .
(٣) أى خذ حقل .
(٤) الكشح : ما بين الخاصرة إلى الضلع الأقصر من أضلاع الجنب .
(٥) أخرجه أبو داود في السلام باب في قبلة الجسد (١٣٤/١٤) رقم ٥٢٠٢ .

يضيع الرجل وقته ووقت رفاقه في اللهو ، دعاه ذلك أن يطعنه إنكارًا لفعله ، لكنه أعطاه القصاص .

إنه صلى الله عليه وسلم يعطى القصاص من نفسه ، حتى أصبح ذلك علمًا بين الأمة ، حتى قال عمر بن الخطاب : « إني لم أبعث عمالي ليضربوا أبشاركم ، ولا ليأخذوا أموالكم ، فمن فُعل به ذلك فليرفعه إلّى أَقْصُوه منه ^(١) » قال : إى والذى نفسى بيده ^(٢) إلا أقصه ، وقد رأيت رسول الله ﷺ أقص من نفسه ^(٣) »

إنه صلى الله عليه وسلم قد أرسى هذا المبدأ فى الأمة فامتثلته ، يعطى المسلم القصاص من نفسه مهما كان فى الأمة ، وينصف غيره من نفسه يقتدى برسول الله ﷺ الذى غرس العدل وعلم الإنصاف .

ومع أنه صلى الله عليه وسلم يعطى القصاص من نفسه ، طيعة بذلك نفسه ، إلا أنه حينما طلب من أعرابى القصاص وأبى ، لم يعاقبه وإنما أكرمه :

فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : « كنا نقعد مع رسول الله ﷺ فى المسجد ، فإذا قام قمنا ، فقام يومًا وقمنا معه حتى لما بلغ وسط المسجد أدركه رجل فجذب بردائه من ورائه ، وكان رداؤه خشنًا ،

(١) أى اقتص له ممن ضربه ، وأرد عليه ماله ممن أخذه منه .

(٢) وهو الله سبحانه وتعالى .

(٣) أخرجه أبوداود فى الدييات - باب القود من الضربة (٢٦٩/١٢) رقم ٤٥١٤ .

فحمر رقبته ، فقال يا محمد ، احمل لي على بعيري هذين ، فإنك لا تحمل من مالك ، ولا من مال أبيك . فقال رسول الله ﷺ : لا ، وأستغفر الله ، لا أحمل لك حتى تقيدني مما جذبت برقبتي^(١) . فقال الأعرابي : لا ، والله لا أقيدك^(٢) . فقال رسول الله ﷺ ذلك ثلاث مرات ، كل ذلك يقول : لا ، والله لا أقيدك . فلما سمعنا قول الأعرابي أقبلنا إليه سراعا ، فالتفت إلينا رسول الله ﷺ فقال : عزمت على من سمع كلامي أن لا يبرح مقامه حتى أذن له . فقال رسول الله ﷺ لرجل من القوم : يا فلان ، احمل له على بعير شعيرًا ، وعلى بعير تمرًا . ثم قال رسول الله ﷺ : انصرفوا^(٣) .

إنه صلى الله عليه وسلم لما كان القصاص منه أعطاه بكل رضا ، ولما كان له عفا ، وأكرم من أذاه . هذه أخلاقه ، وغيرها كثير ينطق بكريم خلقه صلى الله عليه وسلم ، فما كان لمنصف إلا أن يعترف بذلك ، أما القس فشأنه شأن القائل :
وعين الرضا عن كل عيب كليلة
وعين السخط تبدى المساويا

لو كان القس منصفًا ما أخطأ في حق رسول الله ﷺ ، بل لو كان مجرد عاقل ما تفوه بكلمة من ذلك ، فلا يكون من المعصوم إلا الحق ، والحديث الذي يستدل به على أن رسول الله ﷺ يجلد

(١) أى حتى تمكنتني من جذب ثوبك على رقبتك كما فعلت بي .

(٢) لا أمكنك من أخذ حقك مني .

(٣) أخرجه النسائي في القسامة باب القود من الجبذة (٣٠ / ٨) .

ويسب ويلعن لا يشهد مطلقاً لذلك ، وإنما يشهد بكريم خلقه
صلّى الله عليه وسلم .

٧ - ويضع القس عنواناً « الرسول يغتصب صفية » :

وأقول : ما اغتصبها صلّى الله عليه وسلم ، وإنما أكرمها غاية
الإكرام . إن صفية بنت حى بن أخطب ، زعيم يهودى ، أساء
إلى رسول الله ﷺ كثيراً ، وهو الذى تسبب فى اجتماع المشركين
واليهود على رسول الله ﷺ فى غزوة الأحزاب ، وحى من بنى
النضير ، وعندما أجلاهم رسول الله ﷺ سنة أربع ، انتقل حى
إلى خيبر ، وكانت صفية متزوجة فى خيبر ، فلما وقعت فى
السبى ، أعتقها رسول الله ﷺ وتزوجها ، وكانت صفية سيدة
عاقلة حكيمة ، ولقد عاملها رسول الله ﷺ أكرم معاملة .

حدث أن اشتكت له ما قالته عائشة وحفصة من أنهما أكرم
على رسول الله منها ، نحن أزواجه وبنات عمه ، فقال صلّى الله
عليه وسلم لها : ألا قلت : وكيف تكونان خيراً منى وزوجى
محمد ، وأبى هارون ، وعمى موسى !

حسن إسلام صفية ، وأخلصت لرسول الله ﷺ كثيراً ،
واحترمها رسول الله ﷺ كثيراً .

فأين الاغتصاب معشر النصارى ؟

وأين الاغتصاب معشر المعترضين ؟

إن صفية لم يغتصبها رسول الله ﷺ ، وإنما كانت تعيش فى
أهلها مكرهة ، لقد كانت تتمنى الإسلام ، إلا أن أبويها كانا

يكرهانها على اليهودية ، وعندما تزوجت كان زوجها على هذا النحو ، فشاء الله لها أن تصل إلى حياة رسول الله ﷺ ، وكان يعرف صدق إيمانها ، وشديد شوقها للإسلام^(١) .

حروب للثراء وتفتيد ذلك :

• ويضع القس عنواناً « الرسول يغتصب صفية » لكنه يتكلم تحته عن الغزوات الإسلامية ، ويدعى أنها كانت للسلب والنهب كانت بسبب الطمع في الثراء السريع وسفك دماء الأمنين !! انتهى .

ومن له أدنى اطلاع على السيرة النبوية يظهر له بطلان كلام هذا القس ، وأنه محض افتراء وتزوير ، فلقد طغى المشركون وتجبروا ، وأذوا المسلمين كثيراً ، عذبوهم وأخذوا أموالهم ، وطردهم من بلادهم ، وخططوا للقضاء على رسول الله ﷺ ، كما قال الله سبحانه : ﴿ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيتَاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ ﴾^(٢) .

إن كل ناظر في التاريخ يتساءل : لماذا ترك رسول الله ﷺ والمسلمون مكة ؟ إنه بسبب إيذاء المشركين ، والعجيب أنه لم يحدث من المسلمين أى إيذاء للمشركين ؟

ويقول الله سبحانه : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴾^(٣) .

(١) السيرة لابن هشام (٢/٣٣٦ ، ٣٣٩) ، والطبراني في الأوسط رقم ٨٥٠٢ ، ٨٥٠٣ ، والإصابة (٧/٧٣٨) رقم ١١٤٠١ ، وطبقات ابن سعد (٨/٨٥) .

(٢) أول سورة الممتحنة .

(٣) سورة الأنفال ، آية : ٣٠ .

لقد خططوا لقتله صلى الله عليه وسلم ، وتكرر ذلك عدة مرات ، وكانت عناية الله سبحانه سبب نجاته صلى الله عليه وسلم في كل مرة .

المعاهدة بين المسلمين واليهود :

ولما دعا صلى الله عليه وسلم أهل المدينة إلى الإسلام ، آمنوا به وبايعوه على الهجرة إليهم فهاجر ، وتعامل مع اليهود أسمى معاملة ، وعقد معهم معاهدة في غاية السمو والرحمة .

ونصوص هذه المعاهدة مدونة في كثير من كتب الإسلام ، بدءاً من صحيح البخارى إلى سيرة ابن هشام ، إلى إمتاع الأسماع ، ومن شاء قراءة نصها فليراجع « مجموعة الوثائق السياسية » تأليف د/ محمد حميد الله - طبع دار النفائس - بيروت ص ٥٩ ، وفي نصوص هذه المعاهدة :

نص رقم ١٦ : وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم .

نص رقم ٣٧ : وأن على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم ، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم .

ونص رقم ٤٤ : وأن بينهم النصر على من دهم يثرب .

تأمل هذا الكلام الذى فى قمة السمو الإنسانى ، إنه ما من منصف إلا ويعترف بعظمة هذه المعاهدة ، ويعترف أن محمداً رسول الله هو رحمة الله للعالمين ، وماذا بعد أن آمن اليهود ،

وجعل لهم على المسلمين أن ينصروهم ؟ وماذا بعد أن جعل على المسلمين واليهود أن يدفعوا المعتدى على المدينة ، وأن يتناصحوا ويتعاونوا في الخير ، أما الشر فالجميع منه براء ، وهكذا أقام مجتمع الفضيلة والرحمة .

لقد ترك صلى الله عليه وسلم مكة للمشركين ، وأعطى هذه المعاهدة لليهود ، فهل يصح أن يقول هذا القس أو غيره : إنه صلى الله عليه وسلم اعتدى ونهب ؟ ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ (١) .

لقد سالم صلى الله عليه وسلم لأبعد حد ، فأصروا على قتاله !! فقاتلهم فنصره الله عليهم ، وأخذ بعض الغنائم كنتيجة طبيعية للمعركة ، فالمتنصر يغنم ، ولا علاقة بين الغنيمة والظلم ، فليس كل من يغنم ظالماً ، وإنما الظالم من يشعل الحروب .

الرسول لم يبدأ حرباً :

إن محمداً ﷺ الرسول لم يبدأ حرباً قط ، وإنما يبدأ أعداؤه فيقابل الاعتداء باعتداء مثله ، فإذا انتصر لم يظلم ، ولم يمثل ، وإنما كان يحترم آدمية أعدائه ، وماذا بعد قول الله تعالى له ولأمته ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْرِ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْرِ وَالْعُدُوِّ ﴾ (٢) .

أى لا يحملنكم بغض قوم بسبب صدهم إياكم عن المسجد الحرام ، لا يحملنكم ذلك على أن تعتدوا ، وإنما كونوا متعاونين

(١) سورة الكهف ، آية : ٥ . (٢) سورة المائدة ، آية : ٢ .

على الطاعة والإنصاف ، لا على المعصية والظلم .

وكذلك قوله سبحانه : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ۤأَلَّا تَعْدِلُوا ۖ أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (١) .

أى ولا يحملنكم بغض قوم على أن لا تعدلوا ، إنه يجب عليكم العدل ؛ لأنه من تقوى الله .

الإسلام لا يجيز الاعتداء :

وواضح من هذا أن الإسلام أغلق أبواب الاعتداء والظلم أمام أهله ، فلا يعتدون على أحد ، ولا يظلمون أحداً ، وعليهم أن يعدلوا ، وأن يستقيموا وإن ظلموا .

لقد سار صلى الله عليه وسلم بالسوية بين الناس إلا أن الآخرين لم يبادلوه سلماً بسلم ، وإنما أعلنوا عليه الحرب ، فجاء المشركون إلى مدينته للقضاء عليه وعلى أمته !! ونقض اليهود المعاهدة ، وأعلنوا أنهم أهل الدراية بالمعارك ، وراحوا فجمعوا له الجموع من العرب واليهود في أقوى تظاهرة عسكرية عرفت في جزيرة العرب !! فقابلهم صلى الله عليه وسلم بجيش قليل في عدده وعدته كثير بإيمانه وهمته ، أيدهم الله ونصرهم .

وكان صلى الله عليه وسلم في حربه في غاية الإنصاف ، وماذا بعد قول الله سبحانه : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُم وَلَا تَعْسَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْسِدِينَ ﴾ (٢) ، وقوله سبحانه ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا

(١) سورة المائدة ، آية : ٨ .

(٢) سورة البقرة ، آية : ١٩٠ .

لِلسَّلَامِ فَاجْتَنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١﴾ .

أمرنا سبحانه أن نقاتل من قاتلنا ، أى أن أمة الإسلام لا تبدأ القتال ، وينهانا سبحانه أن نعتدى على أحد ، فإذا أعلن آخرون الحرب علينا واجهناهم بحرب ، فإن مالوا للسلام فلنأخذ نحن بمبدأ السلام .

وصايا رسول الله ﷺ جيش المسلمين :

ويقول صلى الله عليه وسلم : « لا تتمنوا لقاء العدو ، وسلوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا » (٢) .

وهكذا رسول الله محمد ﷺ ليس طالب حرب ، فلا يتمنى لقاء العدو ، وإنما يسأل الله العافية ، فإذا اضطر للمواجهة صبر وصبر المسلمون .

ويوصى صلى الله عليه وسلم جيش الإسلام فيقول : « اغزوا باسم الله ، وفى سبيل الله ، وقاتلوا من كفر بالله . اغزوا ، ولا تغدروا ، ولا تغلوا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليداً » (٣) .

إنه يوصى أن يكون الغزو فى طاعة الله ، لا ظلم ولا بغى ، « ولا تغدروا » أى ولا تنقضوا عهداً ، « ولا تغلوا » أى لا تأخذوا مالاً بغير حق .

هكذا يوجه صلى الله عليه وسلم جيش الإسلام ، يوصيهم

(١) سورة الأنفال ، آية : ٦١ .

(٢) صحيح البخارى رقم ٢٩٦٦ ، وصحيح مسلم رقم ١٧٤٢ .

(٣) أخرجه أبو داود فى الجهاد باب فى دعاء المشركين (٢٧٣/٧) .

أن يكونوا عادلين منصفين .

إنه الرسول الذى أرسله الله رحمة للعالمين ، أى رحمة لكل المخلوقات . تمر عليه جنازة فيقوم لها ، فيقول أصحابه له : إنها جنازة يهودى . فيقول : أليست نفساً ؟

ولقد سارت الأمة على هديه صلى الله عليه وسلم ، فهاهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوصى قائد جيش المسلمين ، فيقول له : لا تقطع شجرة مثمرة ، ولا تحرق عامراً ، ولا تعقرن شاة ولا بعيراً إلا للأكلة ، ولا تعقرن نخلاً ولا تحرقه .

ويمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه على قوم من النصارى قد أصيبوا بمرض الجذام فيأمر لهم بعتاء « معاش » من بيت مال المسلمين .

شهادات المسيحيين واليهود بعظمة الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين :

ولقد اعترف المنصفون من الأمم الأخرى بعظمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباعه ، يقول المستشرق الإنجليزى « ستيفن رانسمان » : لقد اتصف المسلمون الغزاة الجدد بالعدالة ، وهذا يتضح حين ترى شعوب البلاد المحتلة لا يحاولون طرد القادمين الجدد ، والسبب ببساطة هو أنهم وجدوا حكمهم أفضل من حكم السابقين .

لقد نشر المسلمون الغزاة التسامح الدينى ، ومحو الفوارق بين الطبقات ، وقضوا على الامتيازات ^(١) .

ويقول المؤرخ الألمانى متز : لقد كان الإسلام متسامحاً مع الأديان الأخرى ، ليس فقط مع المسيحية أو اليهودية ،

(١) من دائرة المعارف الأمريكية .

ولكن مع المجوس كذلك^(١) .

ويقول أ / متز أيضًا : ولم يكن في التشريع الإسلامى ما يغلق دون أهل الذمة أى باب من أبواب الأعمال ، وكان قدمهم راسخًا في الصنائع التى تدر الأرباح الوفرة ، فكانوا صيارفة وتجارًا وأصحاب ضياع وأطباء^(٢) .

ويقول : ومن الأمور التى نعجب لها كثرة عدد العمال والمتصرفين غير المسلمين في الدولة الإسلامية^(٣) .

ويقول توماس أرنولد : إن المسيحيين أحرزوا ثروات ضخمة ، وتمتعوا بنجاح عظيم في عصور الإسلام الأولى بفضل ما كفل الإسلام لهم من حرية العقيدة والملك^(٤) .

هذا هو رسول الله محمد ﷺ فيما يوحى إليه ، وما ينطق به ، وما يشهد به المنصفون من الأمم الأخرى ، كل ذلك يرد على من يتجرؤون عليه صلى الله عليه وسلم ، ويرد على من يصفون المسلمين بأى صفة غير العدل والرحمة .

الغنائم والأنزفال ليست نهبًا ولا غصبًا :

ويدعى القس جبرى فالويل أن الرسول ﷺ راح يستولى على

(١) من دائرة المعارف الأمريكية .

(٢) راجع كتاب متز « الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى » ج ١ ، ص ٨٦ .
وراجع أيضًا كتابى « الإرهاب العالمى من يصنعه ومن يمتعه ؟ » ص ٣٦ .

(٣) كتاب « الحضارة الإسلامية » ص ١٠٥ .

(٤) راجع كتاب « انتشار الإسلام » لأرنولد ، ص ٦٠ .

أموال الآخرين سلبًا ونهبًا وسرقة للمذاته ، وأن ذلك كان حلالاً للمسلمين .

وأقول له ولأمثاله : لم يبيح الإسلام سلبًا ولا نهبًا ، ولم يبيح سرقة ولا غصبًا ، وإنما على العكس من ذلك يحترم حياة الآخرين وأموالهم ، من ذلك :

احترامه صلى الله عليه وسلم أموال وأعراض الآخرين :

ما حدث حينما أفسد اليهود في المدينة ، وراحوا يؤلبون المشركين على المسلمين ، فطلب منهم رسول الله ﷺ أن يرحلوا عن المدينة ، لكنه لم يقتلهم ، ولم يأخذ أموالهم ، وإنما قال لهم : « اعلموا أنما الأرض لله ورسوله ، وأنى أريد أن أجليكم من هذه الأرض ، فمن وجد منكم بماله شيئًا فليبيعه »^(١) .

فواضح من هذا أنه لم يكن حريصًا على قتلهم ، ولم يكن حريصًا على سلب أموالهم - كما يدعى القس - وإنما حافظ على أرواحهم ، وعلى أموالهم وهذه أخلاق النبوة .

وأقل من ذلك وأكثر قوله صلى الله عليه وسلم : « إن الله لم يحل لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب إلا بإذن ، ولا ضرب نسائهم ، ولا أكل ثمارهم ، إذا أعطوا الذي عليهم »^(٢) .

إنه صلى الله عليه وسلم راعى حرمة بيوت غير المسلمين ، فلا تُدخَلُ بيوتهم إلا بإذنهم ، واحترم أعراضهم فلا تُضرب

(١) صحيح مسلم رقم ١٧٦٥ .

(٢) أخرجه أبو داود ٣٠٥٠ كذا في جامع الأصول (٦٣٧/٢) رقم ١١٢٥ .

نساؤهم ، واحترم أموالهم فلا تؤكل ثمارهم ، مؤكداً أن الله حرم على المسلمين هذا ، فلا هو ولا أى مسلم يؤذى أحداً من خلق الله تعالى ، وهذا ديننا ، وليتأمل الآخرون أخلاقهم .
ويقول صلى الله عليه وسلم : « ألا ولا - نحل - لقطه من مال مُعَاهَد إلا أن يستغنى عنها صاحبها »^(١) .

يصرح صلى الله عليه وسلم أن من أقام في بلاد المسلمين ، وأعطى الأمان ، فلو أن شيئاً من ماله سقط منه فإنه يحرم على أى مسلم أن يأخذه ، وعليه أن يرده عليه ، حتى المال الذى ضاع من غير المسلم له حرمة ، مما يوضح مدى احترام رسول الله ﷺ لأموال الآخرين .

وواضح من هذه النصوص أن رسول الله ﷺ يحترم الإنسان كل إنسان ، يحترمه في آدميته ، ويحترمه في حياته ، ويحترمه في عرضه ، ويحترمه في ماله ، يحترمه كل الاحترام ، مما يثبت ضلال الذين يقول إنه كان يريد المال من الآخرين بحق وبغير حق ، لا ، إنه يريد الحق والصدق في كل تصرفاته وتصرفات المسلمين .

فهاهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما أغار اليهود على المسلمين ، فقام يهود خيبر بتكسير يدي ورجلي عبد الله بن عمر أجلاهم عمر عن المدينة إلى شمال الجزيرة ، وأعطاهم ما كان لهم من الثمر مالا وإبلاً وعروضا من أقتاب وحبال وغير ذلك^(٢) .

(١) أخرجه أحمد رقم ١٧١٧٤ .

(٢) البخارى رقم ٢٧٣٠ ، ٢٣٣٨ .

إن عمر رضي الله عنه يحرص على إعطائهم حقوقهم ، كيف وهو الذي سمع من رسول الله ﷺ القرآن والسنة ، وهما يحزمان مال الغير ، مسلماً كان هذا الغير أو غير مسلم .

إنه الإسلام الدين الخاتم يحرص على الانصاف والعدل ، ويدعو إلى مكارم الأخلاق ، ارتقى بأمته في سلم الكمالات البشرية ، فأصبحت رحيمة عادلة ، كريمة مستقيمة .

أما رسول الله ﷺ فهو : إمام الأمة في احترام أرواح وأموال الناس ، وفضلاً عن ذلك فهو أزهّد الناس في المال وفي الدنيا كلها .

زهده صلى الله عليه وسلم في المال :

يقول عبادة بن الصامت : « أخذ رسول الله ﷺ يوم خيبر وبرة من جنب بعيره ، فقال : أيها الناس إنه لا يحل لي مما أفاء الله عليكم قدر هذه إلا الخمس ، والخمس مردود عليكم »^(١) .

نعم ، لم يكن مرامه صلى الله عليه وسلم المال ، فأخذ شعرة من شعر بعيره ، وقال إنه لا يحل له من الغنائم إلا الخمس يقسمه خمسة أسهم ، سهم لله ولرسوله وهذا واحد ، وسهم لقراة رسول الله ، وهذان يصرفان في الخيل والسلاح ، وسهم لليتامى وسهم للمساكين ، وسهم لابن السبيل يصرف كل سهم من الثلاثة الأخيرة لأصحابه .

أما الأربعة أخماس الباقية فإنها للمقاتلين .

وهكذا فلم يكن رسول الله بالحريص على أخذ المال ، وإنما

(١) أخرجه النسائي كما في جامع الأصول (٢/٦٩١) .

كان يوزعه على المسلمين ، ويوضح ذلك جلياً ما يلي :

اشتكت فاطمة بنت رسول الله ﷺ ما تلقى من الرحي مما تطحنه ، فبلغها أن رسول الله ﷺ أتى بسبي ، فأنته تسأله خادماً ، فلم توافقه ^(١) ، فذكرت لعائشة ، فجاء النبي ﷺ فذكرت ذلك عائشة له ، فأتانا وقد أخذنا مضاجعنا ، فذهبنا لنقوم فقال : على مكانكما ، حتى وجدت برد قدمه على صدري ، فقال : « ألا أدلكما على خير مما سألتانني ؟ إذا أخذتما مضاجعكما فكبرا الله أربعاً وثلاثين ، واحداً ثلاثاً وثلاثين ، وسبحاً ثلاثاً وثلاثين ، فإن ذلك خير لكما مما سألتماه » ^(٢) .

إنها أحب خلق الله إليه ، إنها ابنته ، تطلب منه خادمة ، لكنه يوجهها لذكر الله ، ويصرفها عن الخادمة ، مما يدل على أنه لا يريد المال ، لا لنفسه ولا لأهله ، إنه صلى الله عليه وسلم الذي قال : « مالي وللدنيا ؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ، ثم راح وتركها » ^(٣) .

إن هذه الدراسة ، والتي استعرضت فيها جانباً من نظرة رسول الله ﷺ للمال تفيد أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن المال همته ، ولم تكن الماديات مطمعه ، وإنما كانت همته طاعة الله تبارك وتعالى ، وهذه أمور واضحة لمن درس سيرته على أي

(١) أي لم تجده صلى الله عليه وسلم في منزله .

(٢) البخاري رقم ٣١١٣ .

(٣) أخرجه الترمذي في الزهد الباب الثالث بعد باب ما جاء في أخذ المال بحقه ، وأخرجه أحمد رقم ٢٧٤٤ وهو حديث صحيح .

مستوى ، مما يفيد أن الذين يخطئون في حقه من جانب المال إنما هم أناس أعماهم التعصب ، وأضلهم الهوى ، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ يَفْتَرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١) .

ادعائهم رفض اليهود الإسلام وتفنيده ذلك :

٨ - ويقول القس : إن رسول الله ﷺ عرض الإسلام على اليهود فرفضوا بالطبع ، فكان البديل جاهزاً إنه السيف وليس سواء Page 4 of 6 .

وأقول : لست أدري ماذا يقصد هذا القس بقوله : إن اليهود رفضوا الإسلام بالطبع انتهى كلامه .

الظاهر عندي أن هذا كلام من لا يفهم ولا يدري ما يقول ! فالإسلام لا يُرفض بالطبع ، بدليل من دخله من عباد الله ، وهم كثرة كثيرة ، بل إن أحبار اليهود - علماء اليهودية - أسلموا في أول من أسلم ، كما في قوله تعالى : ﴿ قُلْ كَفَى يَاللَّهُ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدُ عَلَّمَ الْكِتَابِ ﴾ (٢) .

وقول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ عِنْدُ عَلَّمَ الْكِتَابِ ﴾ يشمل علماء أهل الكتاب الذين يجدون صفة محمد ﷺ ونعته في كتبهم المتقدمة من بشارات الأنبياء به صلى الله عليه وسلم ، وكانوا يعترفون بذلك ويصرحون به .

(١) سورة القصص ، آية : ٥٠ . (٢) آخر سورة الرعد ، آية : ٤٣ .

وَأَيْضًا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُونًا عِنْدَهُمْ فِي الْوَرْدَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ذَلَّلُوا بِهٖ وَعَزَّزُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاجْتَبَعُوا الزُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿ (١) .

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تفيد إيمان اليهود والنصارى برسول الله محمد ﷺ (٢) .

يهود ومسيحيون أسلموا وحسن إسلامهم :

وكتب السابقين تفيد أن كثيرًا من اليهود والنصارى أسلموا! أذكر بعضًا منهم :

فلقد أسلم عبد الله بن سلام أحد أخصاب - علماء - اليهود (٣) .
وأسلم بخيريق وهو أحد أخصاب اليهود الأغنياء وحسن إسلامه (٤) .

وأسلم ثعلبة بن سعية من اليهود .

وأسلم أسيد بن سعية من اليهود .

(١) سورة الأعراف ، الآيتان : ١٥٦ ، ١٥٧ .

(٢) راجع سورة المائدة آية ٨٢ ، وسورة القصص ، آية ٥٢ ، والشعراء ، آية ١٩٧ ، والأحقاف ، آية ١٠ ، والمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ١٣٧ .

(٣) راجع السيرة النبوية لابن هشام ، ج ١ ، ص ٥١٦ .

(٤) راجع السيرة النبوية لابن هشام ، ج ١ ، ص ٥١٨ .

وأسلم أسد بن عبيد من اليهود .

وأسلمت صفية بنت حيى بن أخطب ، أحد زعماء اليهود ،
أسلمت وهى فى وسط أهلها ، وحينما تكلمت بما يفيد إسلامها
ضربها أهلها اليهود ، فظلت إلى أن ساقها الله إلى رسوله زوجة
صالحة متعبدة ، أكرمها رسول الله ﷺ غاية الإكرام^(١) .

ومن النصارى أسلم الكثيرون ، أسلمت أمم ، لكنى أذكر
بعضاً ممن تقدم إسلامهم :

- فأسلم النجاشى ملك الحبشة^(٢) .

- وأسلم عداس غلام عتبة وشيبة ابنى ربيعة^(٣) .

- وجاء وفد من النصارى فأسلموا ، وحاول كفار قريش
صرفهم عن إسلامهم فثبتوا على إسلامهم ، ولم يستجيبوا
لمشركى مكة^(٤) .

- وأرسل رسول الله ﷺ كتاباً إلى هرقل عظيم الروم فأسلم ،
إلا أنه خاف من حوله^(٥) .

لقد جاء اليهود والنصارى إلى رسول الله ﷺ وتحدثوا معه ،
وحاورهم ودعاهم إلى الإسلام ، ونزلت الآيات القرآنية تحيى

(١) راجع الإصابة ج ٧ ، ص ٧٣٨ رقم ١١٤٠١ .

(٢) راجع السيرة النبوية ، ج ١ ، ص ٣٣٤ .

(٣) راجع السيرة ، ج ١ ، ص ٤٢١ .

(٤) راجع السيرة (٣٩١/١) .

(٥) صحيح البخارى حديث رقم ٧ ومسنند أحمد (٤٤١/٣ ، ٤٤٢) .

عليهم ، وأقام صلى الله عليه وسلم الحُجة عليهم ، فأسلم بعضهم ، وصدق الكثيرون بنبوته ولكن لم يسلموا ، وعاند الكثيرون وأنكروا نبوته التي جاءت في كتبهم !!

لقد جاء وفد نصراني إليه صلى الله عليه وسلم في مسجده ، ولما حانت صلاتهم قاموا في مسجده صلى الله عليه وسلم يصلون ، وسمح صلى الله عليه وسلم لهم بالصلاة في مسجده (١) .

وأبدى اليهود عتوا وعنادًا في مجلسه ، فما زاده إلا توضيحًا للحق ، وصدق الله العظيم الذي أوحى إليه ﴿ وَلَا يُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَجِدُّ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (٢) .

لقد أنكروا نبوة داود ، ورد الله عليهم (٣) .

وأنكروا نزول كتاب بعد موسى عليه السلام (٤) .

وأنكروا نبوة عيسى عليه السلام (٥) .

وتصارع اليهود والنصارى في شأن إبراهيم عليه السلام ، فقال أحبار اليهود : ما كان إبراهيم إلا يهوديًا . وقالت النصارى : ما كان إبراهيم إلا نصرانيًا . كل ذلك في مجلسه صلى الله عليه وسلم ،

(١) السيرة النبوية لابن هشام ، ج ١ ، ص ٥٧٤ .

(٢) سورة العنكبوت ، آية : ٤٦ .

(٣) السيرة (١/ ٥٤٤) .

(٤) السيرة (١/ ٥٦٣) .

(٥) السيرة (١/ ٥٦٧) .

وعلى الرغم من أن هذا كلام لا يقبله العقل مطلقاً إلا أنه صلى الله عليه وسلم صبر عليهم ، ولم يعمل السيف كما يدعى القس ، ولا أى صورة من صور الإيذاء ، وإنما جاء الوحى ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِي هَؤُلَاءِ تَقُولُونَ﴾ (١) .

إن من يقرأ آيات القرآن الكريم ، وأحاديث رسول الله ﷺ ، وسيرة رسول الله ﷺ يتضح له أن منهج الإسلام مع اليهود والنصارى كان منهجاً سمحاً كريماً ، بلغ فى ذلك الغاية والنهاية . وعليه فكلام القس بأن الرسول ﷺ عرض الإسلام على اليهود فرفضوا بالطبع ، وكان البديل جاهزاً إنه السيف وليس سواء . هذا الكلام من القس إنما هو محض افتراء وبهتان .

الإسلام لم ينتشر بالسيف :

ويردد القس فرية طالما ردها أعداء الإسلام ، وهى ادعاؤهم أن الإسلام انتشر بالسيف ، وهذه فرية طالما فندها المنصفون ، إن الإسلام دين الله الذى ارتضاه لخلقه ، وقال سبحانه فى حق هذا الدين ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (٢) وهذا مبدأ يدفع بكل قوة هذا الهراء الذى يتشدد به أعداء الإسلام .

إن التاريخ لم يسجل حالة إكراه واحدة على الإسلام ، ولم يستعمل السيف لإكراه الناس على الإسلام ، وإنما لرد عدوان الظالمين .

(٢) سورة البقرة ، آية : ٢٥٦ .

(١) سورة آل عمران ، آية : ٦٥ .

إن القوة في الإسلام ليست للإكراه ولا للظلم ، وإنما هي مقيدة بالحق منضبطة بالإنصاف ، يقول الله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ ^(١) أذن سبحانه للمسلمين بالقتال لكن بشرطين :

الأول : قتال من يقاتلونهم من المشركين .

الثاني : إذا توقف المشركون عن قتال المسلمين فليتوقف المسلمون عن القتال ﴿ وَلَا تَعْتَدُوا ﴾ .

إن الغاية من الجهاد الإسلامي محددة ، وهي إعطاء الناس حريتهم الدينية ، فهو لكسر شأفة القساة الذين يحرمون الناس من معرفة الحق ، يقول الله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ لِلَّهِ فَإِنْ أُنْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ ^(٢) وهذا إذن من الله للمسلمين بقتال الكفار ، لكن الغرض من هذا القتال : عدم تمكين المشركين من صرف المسلمين عن دينهم : ﴿ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ .

وأيضاً حتى يكون الدين لله ، فلا يتحكم أحد في أحد ، وإنما ليتعبد الناس بما يروونه حقاً ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ ^(٣) .

وهكذا تحدد الآيتان غاية الجهاد ، وأنه لإعطاء الناس حريتهم الدينية .

(١) سورة البقرة ، آية : ١٩٠ .

(٢) سورة البقرة ، آية : ١٩٣ .

(٣) سورة الأنفال ، آية : ٣٩ .

وهكذا يتضح أن الإسلام لا إكراه فيه لأحد ، وإنما يجتهد أهله ليوفروا للناس الحرية الدينية ، والحرية العامة .

ونقل هنا كلام بعض غير المسلمين في سماحة الإسلام :

يقول إدوين كالغرى^(١) : لم يحمل المسلمون أثناء غزواتهم المنتصرة أحدًا من المسيحيين أو اليهود على اعتناق الإسلام ، فلقد أقر الإسلام لأهل الكتاب بحرية ممارسة شعائر دينهم بشرط دفع الجزية ، وكل ما طالبهم به هو أن يسلموا للدين الجديد بالسيادة المدنية والسياسية التي تمثلت في الدولة الإسلامية .

ويقول : احتفظ المسلمون للأقليات غير المسلمة في البلاد التي فتحوها بحقوقهم وامتيازاتهم الدينية .

ويقول : في القرآن آية كريمة تفيض بالصدق والحكمة يعرفها المسلمون جميعًا ويجب أن يعرفها غيرهم وهي : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(٢) .

ويقول المؤرخ الألماني متز : لقد كان الإسلام متسامحًا مع الأديان الأخرى ، ليس فقط مع المسيحية أو اليهودية ، ولكن مع المجوس كذلك^(٣) .

ويقول المستشرق الإنجليزي ستيفن رانسمان : لقد نشر

(١) عضو البعثة العربية التي نظمتها الكنيسة في الولايات المتحدة سنة ١٩٠٩ - ١٩٣٠م ، ومحاضر في مدرسة كنيدي للبعثات .

(٢) سورة البقرة آية : ٢٥٦ .

(٣) صراع حول البيت العتيق ، ص ١٥٤ مترجمًا عن دائرة المعارف الأمريكية .

المسلمون الغزاة التسامح الديني ، ومحو الفوارق بين الطبقات ، وقضوا على الامتيازات^(١) .

وقضية انتشار الإسلام بالسيف من القضايا التي أخذت أكثر من حقها في الكتابة . كتب فيها المتحاملون على الإسلام فظلموا الحقيقة ، وكتب فيها المحقون فأنصفوا ، فسقت نماذج من كتابات من ليسوا بمسلمين ، ممن صفتهم الاعتدال والحيدة ، أوضح بذلك الحق لمن أراده ، أما المتعصبون فلا اعتبار لتعصبهم في ساحة الحقيقة .

ادعائهم مذبحة ولا مذبحة !!

٩ - يقول القس : وعمل - رسول الله ﷺ - مذبحة مروعة يصفها القرآن كالاتي : ﴿ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾^(٢) .

يجعل القس السبب في هذه المذبحة هو رفض اليهود الإسلام ، وهذا تجنُّ على الحقيقة واضح .

إن الآية تبين سبب المذبحة ﴿ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ ﴾ . إن اليهود ظاهروا المشركين أى تعاونوا معهم على المسلمين ، وكان اليهود في معاهدة تعاون مع المسلمين ، فما أن جاء المشركون لحرب المسلمين إلا وانضم يهود بنى قريظة للمشركين ضد الرسول والمسلمين .

(١) المصدر السابق .

(٢) سورة الأحزاب ، آية : ٢٦ .

وراح يهود بنى قريظة يقتلون نساء المسلمين والذرية فى الحصن الذى تركهم فيه رسول الله ﷺ ، فأرسلوا من يتجسس على الحصن ، فهياً الله له صفة عمه رسول الله ﷺ فقتلته ، ولم يرجع إلى اليهود ، فظنوا أن قوة تحرس الحصن ، ولو أن هذا الجاسوس عاد سالمًا لانقض يهود بنى قريظة على الحصن فقتلوا نساء المسلمين وأطفالهم .

وفضلاً عن ذلك فلقد أمد يهود قريظة جيوش المشركين بالأغذية والعتاد .

فماذا تريد من أناس هكذا ، إنها الخيانة العظمى ، خيانة أثناء المعركة ، لا أقول إن اليهود مالوا المشركين فقط ، ولكن تحولوا من أنصار للمسلمين إلى أعداء للمسلمين ، وفى وقت الحرج ، يريدون قتل رسول الله ﷺ ومن معه ، وليست هناك خيانة أفضع من ذلك ، وليس من شأن منصف أن يعترض على قتل هؤلاء ، فهم الذين بدءوا بمحاولة قتل رسول الله والمسلمين ، ومن دافع عن نفسه فلا يلام .

اعتراضهم على حديث وتفنيده ذلك :

١٠ - ويتشدد القس بحديث « لا يجتمع بجزيرة العرب دينان » وحديث « لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب » .

وأقول له ولأمثاله : نعم ، حرص الإسلام على جعل جزيرة العرب للمسلمين ، وما ذلك إلا لما أظهره اليهود والنصارى من عداة للإسلام ، ومحاولة القضاء عليه !!

لقد أسرفوا في هذا وغالوا ، فكان حقن دماء الجميع يقتضى إبعاد طرفي النزاع ، كما يحدث الآن من سياسة « الفصل بين القوات » .

لقد أنزل الله في اليهود والنصارى ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَصُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿ (١) .

وقال سبحانه : ﴿ قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ تَبِعُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا قَرِيبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفَرِينَ ﴾ (٢) .

ولقد أخرجهم صلى الله عليه وسلم إخراجاً كريماً ، حتى إنه صلى الله عليه وسلم يقول لهم : « إني أريد أن أجليكم من هذه الأرض ، فمن وجد منكم بماله شيئاً فليبعه » (٣) . أعطاهم حق التصرف في عقاراتهم قبل أن يجليهم ، وهذا من كريم حلمه صلى الله عليه وسلم .

إن التاريخ على طوله يشهد أن الأمم الأخرى تكيد لأمة الإسلام ، فغارات المغول والتتار إلى الحروب الصليبية إلى محاكم التفتيش ، إلى حرب أفغانستان وكشمير والشيشان ، والبوسنة ،

(١) سورة البقرة ، آية : ١٠٩ .

(٢) سورة آل عمران ، الآيةان : ٩٩ ، ١٠٠ .

(٣) أخرجه البخارى رقم ٣١٦٧ .

وكوسوفو ، وفلسطين والعراق ، واحتلال كثير من الدول كل ذلك يوضح صدق نبوته صلى الله عليه وسلم . وهذا ما يفعل في العلن ، أما ما يحاك من مؤامرات اقتصادية وعسكرية ، وبشرية ضد المسلمين من غيرهم ، فهذا فوق الوصف ولا يبلغه الخيال ، فصلى الله وسلم على رسول الهدى الذى حافظ على الأمة من كيد أعدائها ، ولتينا اعتصمنا بهديه فبعدنا عن هؤلاء .

ادعائهم إباحة الاغتيالات وتقنيده ذلك^(١) :

ويدعى القس أن نبي الإسلام أباح الاغتيال وأهدر دماء خصومه .

وأقول له ولأمثاله : هذا قلب للحقيقة تمامًا ، فرسول الإسلام ﷺ لم يبح الاغتيال وإنما حرص أعداؤه على اغتياله !!

قسوة أعدائه :

فلقد دبر المشركون لاغتياله في مكة ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴾^(٢) .

وحاول اليهود اغتياله في المدينة أكثر من مرة ، مرة بإلقاء صخرة من فوق مبنى فوق رأسه وهو جالس ، ومرة بدس السم في الشاة ، ومرات بإشعال الحروب ، وتجهيش الجيوش ضده . وحاول الفرس اغتياله .

(١) Bag 4 of 6.

(٢) سورة الأنفال ، آية : ٣٠ .

وحاول الرومان القضاء عليه .
كل ذلك ورسول الله ﷺ لا يغتال أحدًا منهم ، ولا يحرص
على قتل أحد ، بل يكرمهم كل الإكرام .

قسوة النصارى واليهود :

جاء إليه وفد من النصارى فاستقبلهم وأكرمهم ، ناقشوه ففتح
لهم صدره ، ودعاهم إلى الإسلام ، فسلموا بصدق دعوته ،
ورفضوا أن يسلموا ، وطلبوا منه أن يرسل معهم أحد الصحابة
يحكم بينهم في أشياء اختلفوا فيها في الأموال ، وقالوا : إنكم
عندنا رضا . أى نرضى حكمكم ، فأرسل معهم الصحابي
الجليل أبا عبيدة بن الجراح ^(١) .

وتأمر عليه وعلى أصحابه يهود بنى النضير ، وخططوا لقتل
أكبر عدد من خيرة الصحابة ، وعلم رسول الله ﷺ بذلك ،
فجيش جيشًا وحمل عليهم ، لا يريد إلا أن يوقع الطرفان على
معاهدة أمان ، ورفض يهود بنى النضير ، فذهب إلى يهود بنى
قريظة ، فوقعوا على المعاهدة ، فعاد صلى الله عليه وسلم إلى يهود
بنى النضير ، وطلب منهم الجلاء ، وسمح لهم أن يحملوا ما
شاءوا من أمتعتهم وأموالهم ^(٢) .

لقد كان الغدر والاغتيال صنع اليهود والنصارى والمشركين ،
ولو تتبعنا ذلك لذكرت الكثير ، أما هو صلى الله عليه وسلم
فكان رسول رحمة وسلام .

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٥٧٤ - ٥٨٤) .

(٢) عون المعبود بشرح سنن أبى داود (٨/ ٢٣٤) .

رحمته صلى الله عليه وسلم :

إنه ما قتل كعب بن الأشرف^(١) وسلام بن أبي الحقيق^(٢) إلا لكثرة إيدائهم المسلمين ، فأراد أن يقضى على كيدهم بأقل خسائر بشرية ، إنه صلى الله عليه وسلم لم يقتلهم بادي ذى بدء ، وإنما دعاهم للكف عن ذلك ، والقرآن يأمره بالصبر على أذاهم فيصبر ، يقول الله تعالى : ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِن عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾^(٣) إلا أن قساة اليهود والنصارى والمشركين يتمادون في الايذاء ، ويصرون على القتل والإفساد ، فكان يقابل ذلك بكل حكمة واعتدال .

إنه صلى الله عليه وسلم حينما انهزم أمامه جيش الروم في غزوة تبوك ، لم يعمل السيف في الناس ، وإنما راح يعقد اتفاقيات صلح وسلام .

• فعقد صلحا مع يُحْتَنَ بن رؤية اليهودى حاكم أيلة - مدينة على ساحل البحر بين الحجاز والشام - فحينما انتهى صلى الله عليه

(١) كعب بن الأشرف عربى يمنى من طيء ، بينما كان أبوه في اليمن قتل ناسا وفر إلى المدينة (يثرب) وحالف بنى النضير يهود وتزوج عقيلة بنت أبى الحقيق أخت سلام ابن أبى الحقيق اليهودى المعروف بإيذاء المسلمين ، وأنجب من عقيلة كعبا هذا ، ويتضح من هذا أن كعبا هذا متأصل في الشر من جهة أبيه وأمه .
(٢) سلام بن أبى الحقيق هو أحد العناصر الفاعلة في تأليب المشركين واليهود على قتل المسلمين في غزوة الخندق .
(٣) سورة آل عمران ، آية : ١٨٦ .

وسلم إلى تبوك ، أتاه يُحَنِّتُهُ ، وصالح رسول الله ﷺ على الجزية ، على كل حالم - كبير - دينارًا ، فبلغ ثلاثمائة دينار في السنة .

لقد كان رسول الله ﷺ في هذه الفترة في جيشهم الذي جاء ليواحجه به الروم ، وحينما وصل بلاد الروم وجد جيشهم قد تبعثر ، ولم يقف أمامه أحد ، فأخذ يعقد صلحًا مع البلاد التي في هذه المنطقة ، أمثال يحنة ، يؤمنهم على حياتهم مقابل جزية سهلة جدًا - دينار في العام عن الرجل الكبير - وهذا يدل على أنه صلى الله عليه وسلم كان رسول سلام ورحمة . لقد بلغ من رحمته صلى الله عليه وسلم أن يحنة حينما قدم عليه لعقد الصلح أعطاه صلى الله عليه وسلم برده (١) ، وهذه معاملة في غاية الإكرام (٢) .

• كما عقد صلى الله عليه وسلم صلحًا مع أهل جرباء وأذرح .
• وأرسل صلى الله عليه وسلم قطعة من الجيش إلى دومة الجندل « الجوف » وأخبر قائد جيشه خالد بن الوليد بأنهم سيجدون حاكم هذا البلد وهو أكيدر بن عبد الملك الكندي النصراني ، أخبر صلى الله عليه وسلم أنهم سيجدونه يصطاد البقر ، وكلفهم أن لا يقتلوه ، وأن يحضروا به إلى رسول الله ﷺ وتحقق كل ذلك ، وجاءوا به فصالحه صلى الله عليه وسلم وأكرمه (٣) . وعاد هذا الملك النصراني إلى بلاده ، لكنه للأسف نقض العهد بعد ذلك ، مما جعله هدفًا لسيف الإسلام .

(١) عباءته صلى الله عليه وسلم .

(٢) راجع السيرة النبوية - المجلد الثاني ، ص ٥٢٥ ، وفتوح البلدان ١/ ٢٩٢ .

(٣) السيرة ، ج ٢ ، ص ٥٢٦ ، والإصابة (١/ ٢٤١) .

إن رسول الله ﷺ لم يحدث أن اغتال أحداً ، وإنما كان خلقه العفو والصفح :

صور أخرى من قسوة اليهود والنصارى :

• فلما وجد المسلمون واحداً منهم مقتولاً في ديار خيبر ، كسر الجناة عنقه ودفنوه في بئر ، إنه عبد الله بن سهل أخو بني حارثة ، ذهب يشتري تمرًا من خيبر ، فقتله اليهود ، فجاء أهله إلى رسول الله ﷺ يطلبون دية قتلهم ، فأرسل صلى الله عليه وسلم إلى اليهود فأنكروا !!

لقد كانت القرائن كلها تدل على أن اليهود هم الذين قتلوه ، لكنه صلى الله عليه وسلم ليست أمامه بينة ، والحكم في الإسلام لا بد أن يكون مبنياً على بينة ، ومن هنا لم يقتل به رسول الله ﷺ أحداً من اليهود ، ولم يطالبهم بالدية ، وإنما دفع ديته من عنده صلى الله عليه وسلم^(١).

• وبسط الروم نفوذهم على كثير من البلاد شمال الجزيرة ، وكانت منطقة عمان وفلسطين من أرض البلقاء يحكمها فروة بن عمرو الجذامي العربى ، يحكمها لصالح الروم ، وحينما ظهر رسول الله ﷺ على مناطق شمال الجزيرة ، وأخذ يدعو الحكام إلى الإسلام ، أسلم فروة وأرسل إلى رسول الله ﷺ كتاباً هذا نصه : « لمحمد رسول الله إني مقرر بالإسلام مصدق به ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله . أنت الذى بشر بك عيسى بن

(١) السيرة مجلد ٢ / ٣٥٤ - ٣٥٦ .

مريم عليه الصلاة والسلام»^(١) .

أسلم فروة الجذامي ، وأرسل بكتابه هذا رسولا إلى رسول الله ﷺ ، وأرسل هدايا قيمة ، ورد رسول الله ﷺ على كتاب فروة بكتاب هذا نصه : « من محمد رسول الله إلى فروة بن عمرو أما بعد : فقد قدم علينا رسولك ، وبلغ ما أرسلت به ، وخبر عما قبلكم ، وأتانا بإسلامك وإن الله هداك بهداه ، إن أصلحت وأطعت الله ورسوله ، وأقامت الصلاة ، وآتيت الزكاة »^(٢) .

كما رد صلى الله عليه وسلم على هدايا فروة بهدايا أخرى قيمة .

إن فروة الجذامي رجل بلغه أمر الإسلام ، فاستفسر وسأل حتى فهم الإسلام فاقتنع به ، فأرسل إلى رسول الإسلام يخبره بإسلامه ، إلا أن الروم النصاري لم يعجبهم ذلك ، فأرسلوا إلى فروة فأجابهم ، فحبسوه ، وقتلوه بضرب عنقه ، ثم صلبوه !!^(٣) .

وواضح من هذه الحادثة :

- ١ - أن فروة أسلم مختاراً ، وأنه حسن إسلامه حتى فضل القتل عن الردة !!
- ٢ - الروم النصاري لم يعطوا الرجل حق الحرية الدينية ، فعاقبوه .

(١) راجع الوثائق السياسية ص ١٢٥ ، الوثيقة رقم ٣٥ .

(٢) الوثائق السياسية ص ١٢٥ ، وثيقة رقم ٣٦ .

(٣) راجع الطبقات الكبرى لابن سعد ٤٣٥/٧ ، والبداية والنهاية ٩٨/٥ ، والإصابة ٣٨٦/٥ رقم ٧٠٢٤ .

٣ - حينما أرادوا عقابه عاقبوه بأبشع وسائل العقاب ،
فضربوا عنقه ، ثم صلبوه !!

٤ - قسوتهم تفوق الوصف ، فلماذا الصلب بعد القتل !!؟
إنها القسوة التي فاقت الوصف .

٥ - لم يرد رسول الله ﷺ على إجرام الروم هذا بشيء .
وبعد هاتين القصتين أتساءل مع هذا القس وأشياعه : من
الذى يغتال الرجال ؟ ومن الذى تفوح منه القسوة والشر ؟!!
إن عبد الله بن سهل لم يؤذ اليهود فى شيء ، فلماذا قتلوه !!؟
وفروة الجذامى لم يؤذ النصارى فى شيء فلماذا قتلوه وصلبوه !!؟
إن اليهود والنصارى يقتلون الناس لإسلامهم ، أما رسول الله
فلا يقتل أحداً بسبب دينه ، وإنما بسبب عدوانه وشره وقسوته
وضره .

افتراؤهم قتل ابن الأخطل وتفنيده:

ويستطرد هذا القس فيذكر أشخاصاً اغتالهم رسول الله ﷺ ،
والمطلع على الأمور يندهش من افتراءات هذا القس ، فيدعى أن
رسول الله ﷺ قتل ابن الأخطل !!

وأسوق الخبر من سنن البيهقى^(١) ساقه بإسناده عن ابن
إسحاق^(٢) قال : وإنما أمر بقتل عبد الله بن خطل ؛ لأنه كان
مسلياً فبعثه رسول الله ﷺ مصداً^(٣) وبعث معه رجلاً من
الأنصار ، وكان معه مولى يخدمه مسلياً ، فنزل منزلاً فأمر المولى

(٢) ج ١ ، ص ٤٠٩ ، ٤١٠ .

(١) ج ٨ ، ص ٢٠٥ .

(٣) يجمع الزكاة .

أن يذبح تيسًا ويصنع له طعامًا ، ونام فاستيقظ ولم يصنع له شيئًا ، فعدا عليه فقتله ، ثم ارتد مشركًا ، وكانت له قينة وصاحبتهما فكانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ فأمر بقتلهما معه .

وإنى أتساءل مع كل منصف : هل قتل مثل ابن خطل هذا يُعدُّ اغتيالًا ، ويستحق أن يشوش به القس على سيرة رسول الله ﷺ ؟ !!

لقد قَتَلَ ابنُ خطل ! وخرج على أمة الإسلام !! وانضم إلى أعدائها ! فَقَتَلَهُ إنما هو العدل والإنصاف ، وادعاء القس أن الرسول اغتاله إنما هو الافتراء والإرهاب .

كذبهم في اغتيال أبي سفيان بن الحارث :

ويدعى القس أن رسول الله ﷺ قتل فيمن اغتالهم أبو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب^(١) ، يريد القس بذلك أن يشوه سيرة رسول الله ﷺ معتمدًا على أن القارئ سيقبل كلامه دون تحقيق . وما علم المفتري أن العلماء سيظهرون كذبه وافتراءه ، فمن أين جاء الكذاب بأن رسول الله ﷺ اغتال هذا الصحابي الجليل ، إن أبا سفيان بن الحارث لم يسلم أول الأمر ، وعادى رسول الله ﷺ كثيرًا ، ثم قابل رسول الله ﷺ قبل فتح مكة ، فأسلم وحسن إسلامه ، وثبت مع رسول الله ﷺ في حنين ، وحرص على أن يفدى رسول الله بنفسه ، وقال العباس : يا رسول الله ، هذا أخوك وابن عمك أبو سفيان بن الحارث فارض عنه . فقال صلى الله عليه وسلم : قد فعلت ، فغفر الله له كل عداوة عادانيها ،

(١) هذا غير أبي سفيان بن حرب ، القائد القرشي المشهور ، الذي أسلم يوم فتح مكة .

ثم التفت إلى فقال : أخى . لعمري قَبِلْتُ رجله في الركاب ^(١) .
وفي أبى سفيان هذا يقول رسول الله ﷺ : « أبو سفيان أخى
وخير أهل ، وقد اعقبني الله من حمزة أبا سفيان بن الحارث » ^(٢)
فكان يقال لأبى سفيان بعد ذلك : أسد الله وأسود الرسول ^(٣) .
وفيه قال رسول الله ﷺ : « أبو سفيان بن الحارث سيد فتيان
أهل الجنة » ^(٤) .

توفي أبو سفيان بن الحارث هذا في خلافة عمر سنة (١٤ هـ) .
وهنا أتساءل مع الجراء على سيرة رسول الله ﷺ من القس
جبرى فالويل ومن شابهه ، أتساءل : كيف تقولون إن رسول الله
ﷺ اغتال أبا سفيان بن الحارث ، إن أبا سفيان جاهد مع رسول
الله ﷺ ، وعاش بعد رسول الله أربع سنوات .
وعبارة القس موهمة يقول : لكن نبي الإسلام أباح الاغتيال
وأهدر دم خصومه ، نذكر منهم : كعب بن الأشرف ^(٥) ، . . . ^(٦)
أبا سفيان بن الحارث ^(٧) . . . إلخ .
فإن كان يدعى أن أبا سفيان بن الحارث قد اغتاله رسول الله
فهذا محض كذب وافتراء ، وإن كان يدعى أن رسول الله أهدر

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٥٠/٤ .

(٢) ذكره ابن سعد ٥٢/٤ .

(٣) ابن سعد ٥٢/٤ .

(٤) أخرجه ابن سعد ٥٣/٤ .

(٥) سبق أن رددت عليه فيه .

(٦) لم أستطع قراءة اسم ذكره في هذا البياض .

(٧) هذا الذى أجبت عليه هنا .

دمه فهذا أيضًا كذب وافتراء ، فإن أباسفیان أسرف في عداء المسلمين وعادى رسول الله ﷺ والمسلمين عشرين عامًا^(١) ، وهداه الله للإسلام ، فذهب إلى رسول الله ﷺ وقابله ، وهو صلى الله عليه وسلم ذاهب لفتح مكة ، فأعرض عنه مرارًا ، ثم قبله وأحسن إليه .

فإن نظرنا لغضب رسول الله ﷺ على أبي سفيان بن الحارث ، فهذا أمر في محله ، فهو مؤذ . وإن نظرنا لرضا رسول الله عن أبي سفيان بعد إسلامه ، فهذا غاية الكرم ، فلم يعجل بقتله ، وإنما أعرض عنه بعض الوقت ، ثم عفا عنه ، وأحسن وفادته وأهله . ولا يحق للقس أو غيره أن يجعل ذلك شيئًا في ساحة سيرته صلى الله عليه وسلم ، فالشين فيمن أخطأ في حق الرسول المعصوم ﷺ ، فرسل الله لا يخطئون .

ادعائهم اغتياالات أخرى :

ويدعى القس : أن رسول الله ﷺ اغتال أو أهدر دم الحويرث ابن نُقَيْذ !!

وأقول : إن الحويرث هذا كان من غلاة أعداء الإسلام بمكة ، آذى رسول الله ﷺ ، وآذى كثيرًا من المسلمين ، وحينما حمل العباس بن عبد المطلب فاطمة وأم كلثوم ابنتي رسول الله ﷺ من مكة يريد بهما المدينة نخس الحويرث هذا دابتهما مما جعلهما يسقطان عنها .

(١) راجع الطبقات الكبرى لابن سعد ٥٠/٤ ، والسيرة لابن هشام مجلد ٢/٤٠٠ .

لقد كان رجلاً مؤذياً شريراً فهل إذا طلب رسول الله قتله يكون ذلك اغتيالاً؟ بدهى لا ، فقتل الأشرار يقى الناس الكثير من الأذى .

ويدعى القس أن رسول الله ﷺ اغتال أو أهدر دم عقبة بن أبى معيط !!

وأقول : ١ - كان عقبة مشركاً شأن أهل مكة ، ولما بُعث رسول الله ﷺ دعاه إلى الإسلام فأبى ، وراح يؤذى رسول الله ﷺ في بيته ، يلقي عليه رجم الشاة وهو يصلى !! ويلقى الأذى على إناء طعامه صلى الله عليه وسلم (١) .

٢ - ولما اشتدت الدعوة إلى الله ، كان عقبة من الذين ذهبوا إلى اليهود وأحضروا من عندهم الشبهات على رسول الله ﷺ (٢) .

٣ - حينما عزم المشركون على غزو مدينة رسول الله ﷺ والمسلمين ، كان عقبة من أوائل المحرضين على الخروج للحرب (غزوة بدر) (٣) .

٤ - حضر عقبة غزوة بدر في صفوف المشركين ، فأسره المسلمون وكان في الأسر مؤذياً ، فقتله أحد المسلمين بعد المعركة (٤) ، عده ابن هشام في قتلى بدر (٥) .

وواضح من هذا أن عقبة بن أبى معيط لم يغتله رسول الله ﷺ

(١) راجع السيرة لابن هشام ٤١٦/١ . (٢) السيرة لابن هشام ٣٠١/١ ، ٥٧١ .
(٣) السيرة لابن هشام ٦١٠/١ . (٤) السيرة لابن هشام ٦٤٣/١ .
(٥) السيرة النبوية لابن هشام ٧٠٨/١ .

ولا أهدر دمه ، وإنما كان مؤذياً لرسول الله ﷺ والمسلمين ، ولما أسر في بدر ظل على إيذائه فقتله أحد المسلمين .

إن رسول الله ﷺ والمسلمين لم يقتلوا شخصاً مستقيماً ، هادئاً ، وإنما قتلوا عدواً ظالماً مؤذياً معتدياً !! فلا اغتيال ولا ظلم فيهم .

ويدعى القس أن رسول الله ﷺ اغتال أو أهدر دم كعب بن زهير بن أبي سلمى - شاعر على الطبقة -

وأقول : إن كعب بن زهير لم يُسلم أول الأمر ، وعادى رسول الله ﷺ ، وكان شاعراً قوياً ، فاستغل شاعريته في إيذاء رسول الله ﷺ والمسلمين ، فقال صلى الله عليه وسلم : من لقي كعباً فليقتله ، إلا أن كعباً جاء إلى رسول الله ﷺ ودخل المسجد ، ووضع يده في يده ، فأمنه رسول الله ﷺ وأسلم الرجل ، وبعد أن كان يهجو الرسول والمسلمين تحول فمدح رسول الله والمسلمين ، ومما قاله :

نبئت أن رسول الله أوعدنى
والعفو عند رسول الله مأمول
مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة الـ
قرآن^(١) فيها مواعيز وتفصيل

وقال أيضاً :

إن الرسول لنور يستضاء به
مُهتدٌ من سيوف الله مسلول^(٢)

(١) نافلة القرآن : أى أن القرآن زيادة على النبوة .

(٢) سيرة ابن هشام مجلد ٢ ، ص ٥١٠ ، ٥١٢ ، والإصابة ٥/ ٥٩٤ .

وحسن إسلام الرجل وكساه رسول الله ﷺ بردة له ،
فاشترأها معاوية من ولده فهي التي يلبسها الخلفاء في الأعياد .
وهكذا لم يقتل رسول الله ﷺ كعب بن زهير ، ولم يهدر دمه ،
وإنما لما أسرف هذا الشاعر في إيذاء أمة الإسلام ، وبخاصة
استعمال شاعريته في الخوض في الأعراض ، والتشبيب بالنساء ،
هنا كان لابد من وقفة ، توعدده فيها رسول الله ﷺ بما يقطع لسانه
عن الوقوع في أعراض المسلمين ، وما أن كفّ هذا الشاعر لسانه ،
وقدم على رسول الله ﷺ إلا استقبله صلى الله عليه وسلم استقبالا
حسنا ، ولم يقتله ، ولم يأسره ، ولا فعل إلا ما تمليه مكارم الأخلاق .
ويدعى القس أن رسول الله ﷺ اغتال الأسود العنسي ، وقد
سبق أن بينت زيف هذا القول ^(١) .

ويدعى القس أن رسول الله ﷺ اغتال النساء أيضا !! ويذكر
من هؤلاء الصحابة الجلييلة : هند بن عتبة زوجة أبي سفيان ،
وأم معاوية بن أبي سفيان .

ولم تسلم هند في بادئ الأمر ، بل غالت في معاداة الإسلام
والمسلمين ، وهي التي جتدت وحشى لقتل حمزة عم رسول الله
ﷺ في غزوة أحد ، ثم شقت جنبه وأخرجت كبده فمضغتها .
وعند فتح مكة أسلمت هند ، وقالت لرسول الله ﷺ مقولة
تكشف عن شخصيتها . قالت : يا رسول الله ، الحمد لله الذي

(١) تقدم ص ١٧- ١٩ .

أظهر الدين الذي اختاره لنفسه لتتفعنى رحمك . يا محمد ، إني امرأة مؤمنة بالله ، مصدقة برسوله ، ثم كشفت عن نقابها وقالت : أنا هند بن عتبة . فقال رسول الله ﷺ : مرحباً بك . فقالت : والله ما كان على الأرض أهل خباء أحب إلي من أن يذلوا من خبائك ، ولقد أصبحت وما على الأرض أهل خباء أحب إلي من أن يعزوا من خبائك . فقال رسول الله ﷺ : وزيادة . وقرأ عليهن القرآن وبايعهن^(١) .

لقد أسلمت هذه السيدة وحسن إسلامها ، لكن بعد تاريخ طويل في عداء الإسلام ، لكنها لما وقفت أمام المسلمين في فتح مكة لم يقتلها أحد ، ولم يؤذيها أحد^(٢) ، لم يهينها رسول الله ﷺ بكلمة ، ولم يهين غيرها ، وإنما قال لها : « مرحباً بك » وأظهرت له حرصها على كرامته وعزته ، فقال لها : إنك تحرصين على ذلك وزيادة .

وقالت هند بعد أن أسلمت : والله ما رأيت الله تعالى عبد حق عبادته في هذا المسجد قبل الليلة ، والله إن باتوا إلا مصلين قياماً وركوعاً وسجوداً^(٣) !

ولما أسلمت هند جعلت تضرب صنماً لها في بيتها بالقدم حتى فلذته فلذة فلذة ، وتقول : كنا معك في غرور^(٤)

(١) طبقات ابن سعد ٢٣٦/٨ .

(٢) بل إنها حينما خرجت في بدر مع زوجها أبي سفيان أدركها أبو دجانة ، فلم يقتلها حتى لا يقتل امرأة بسيف رسول الله ﷺ . (السيرة لابن هشام مجلد ٢/٦٢ ، ٦٩ .

(٣ ، ٤) الإصابة ١٥٦/٨ .

ماتت هند في خلافة عمر بعد أبي بكر بقليل^(١) .

وواضح من ذلك أن رسول الله ﷺ ما اغتال هند وإنما أكرمها ،
وادعاء القس أن رسول الله اغتالها إنما هو محض افتراء وتضليل .

★ ★ ★

ويدعى القس أن رسول الله ﷺ اغتال سارة مولاة عمرو بن
هاشم !!

وأقول : والله ما اغتالها ، ولا ماتت في زمانه ، بل ولا في
زمان أبي بكر ، وإنما ماتت في زمان عمر . لقد كانت سارة هذه
تؤذيه صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة ، وظلت على إيذائها
للمسلمين ، فلما فتحت مكة ، طلبوا من رسول الله ﷺ أن يعفو
عنها ، فأمنها صلى الله عليه وسلم وعاشت بخير حال لم يؤذها
مسلم ، ولم يقتلها أحد^(٢) .

★ ★ ★

ويدعى القس أن رسول الله ﷺ اغتال عصماء بنت مروان
الخطمية ، وهذه المرأة كانت تعيب الإسلام وأهله ، وتؤذى من
أسلم ، ولا يأمن شرها من أسلم من قبيلتها ، ولما أسرفت في
ذلك وغالت انبرى لها رجل من قومها كان قد أسلم فقتلها ، ولم
يعارضه أحد لما عُلم من سوء خلقها في حق الإسلام والمسلمين ،
ومنذ أن قتلت عز الإسلام في دار بني خطمة . ولم يعترض أحد على

(١) الإصابة ١٥٦/٨ .

(٢) راجع السيرة النبوية مجلد ٢/ ٤١٠ ، ٤١١ .

قتل السيدة العصماء - كما يلقبها القس - لم يعترض أحد من أهلها ، ولما أخبر قاتلها عمير بن عدى الخطمي رسول الله ﷺ بأنه قتلها ، قال رسول الله ﷺ : لا يتططح فيها عتزان . . أى أنه بلغ من شرها أنه لا أحد يختلف في وجوب قتلها^(١) .

ويدعى القس أن رسول الله ﷺ اغتال فتاتين ابن خطل ، وقد تقدم ما كان من ابن خطل ، وأنه قتل ، وخرج على أمة الإسلام^(٢) . أما جاريته واسم إحداها : قزتنى ، والأخرى : قريبة ، فهاتان كانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ ، وكانتا مصدرًا من مصادر إيذاء المسلمين ، ولقد قُتلت إحداها ، وهربت الأخرى ، وكان معلومًا أن من طُلب له الأمان من رسول الله ﷺ فإنه يؤمنه ، فطلب أحد الناس الأمان للتي هربت فأمنها رسول الله ﷺ^(٣) .

وهكذا تفوح رائحة الكذب والضلال من كلام هذا القس وأشياعه ، ويستبين أن رسول الله ﷺ لم يك حريصًا على القتل أو الغدر .

إنه صلى الله عليه وسلم لم يأمر بقتل إنسان سوى ، إنما أمر بقتل المجرمين . وقتل المجرمين مبدأ تقره الأديان والأعراف .

(١) السيرة لابن هشام مجلد ٢ ، ص ٦٣٦ - ٦٣٨ .

(٢) تقدم ص ٥٦ .

(٣) السيرة لابن هشام ٢/٤١٠ ، ٤١١ ، وشفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للنفاسى ١٤٨/٢ ، ١٤٩ .

بل إن الحاكم إذا لم يقتل المجرمين أشاع الرعب بين الأمنيين ، قال الله تعالى : ﴿ وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ عَنْ حَيَاةِ الْوَلَدِ الْأَوَّلِيِّ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١) .

إن القس راح يذكر الحكم دون السبب ، فرسول الله ﷺ طلب أن يُقتل قلة قليلة من الناس ، لكن هذا الحكم له ما يبرره ، فهؤلاء الذين طلب صلى الله عليه وسلم قتلهم كانوا يناصبونه العداء ، ويشيعون الشر في الناس ، فكان يلزم القس أن يبين الحكم وسببه لو كان يريد الحق ، لكن تعصبه دعاءه للميل ، ونحن لن نقبل كلامه في سيرة نبينا ﷺ ، وإذا كان يريد التشكيك في نبينا فالحق واضح أبلغ يستطيع المسلم وغيره أن يطلع عليه . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ (٢) .

ثم يذهب القس ليشهر بالاغتيال . وأقول له : ليس في الأمر اغتيال وإنما فيك التعصب والافتراء .

لقد عاقب صلى الله عليه وسلم بالمثل ، وكان العفو والصفح خلقه صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي مدحه ربه فقال سبحانه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٣) .

(١) سورة البقرة ، آية ١٧٩ .

(٢) سورة الحج ، آية : ٣٨ .

(٣) سورة الأنبياء ، آية : ١٠٧ .

وقال سبحانه - عن اليهود والنصارى - ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٣٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿١﴾ .

الحرية الدينية في مكة :

١١ - ويدعى القس جبرى فالويل أن رسول الله محمدًا ﷺ اعتدى على الحريات حينما غزا مكة .

وأقول : إن أهل مكة هم الذين آذوا رسول الله ﷺ والمسلمين بسبب إيمانهم ، وخططوا مرارًا لقتل رسول الله ﷺ قال الله تعالى : ﴿وَلَا يَمَكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَبِيرُ الْمَكْرِينَ﴾ (٢) وآذوا المسلمين وأخرجوا رسول الله والمسلمين من مكة ، دون ذنب إلا أنهم قالو : « لا إله إلا الله » ، قال تعالى : ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ (٣) .

ولم يكن كل أهل مكة قساة ولا أشرارًا ، وإنما كان فيهم قلة من القساة قادوا الآخرين للحرب على الإسلام ، فلما قوى الإسلام جاء إلى مكة فاتحًا ، ليحرر الضعفاء من اضطهاد القساة ، وليوفر الحرية الدينية للناس ، وليحقق قول الله تعالى : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (٤) وعليه فلم يكن رسول الله ﷺ معتديًا على الحريات وإنما كان يوفر الحريات .

(١) سورة التوبة ، الآيتان : ٣٢ ، ٣٣ . (٢) سورة الأنفال ، آية ٣٠ .

(٣) سورة الممتحنة ، آية : ١ . (٤) سورة البقرة ، آية : ٢٥٦ .

ويقول القس : وعمل سيفُ الغزاة - المسلمين - في رقاب
المكيين ، ولم ينقذهم سوى توسل أبي سفيان للنبي .

وأقول له : لقد فتح الله مكة للرسول والمسلمين ، فما أعملوا
سيفًا ، ولا حرص رسول الله ﷺ على قتل أحد ، وإنما قال
مقولته المشهورة : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » ، وقال : « من أغلق
باب بيته فهو آمن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن
دخل المسجد فهو آمن » .

ويقول القس : وبعد غزو مكة خيّر النبي ما تبقى من سكانها
ما بين الإسلام والقتال .

وأقول : إن الإسلام لا يعرف الإكراه في الدين ، وأهل مكة
يعرفون أن الإسلام حق ، وأن محمدًا صادق ، وما منعهم من
الإسلام إلا العصبية ، فجاء الإسلام ليعالج هذه العصبية في
نفوس المستكبرين ، وكان قبل ذلك قد أصغى بعض هؤلاء
للحق فأسلموا ، من أمثال عمر بن الخطاب ، وخالد بن الوليد ،
وعمر بن العاص وغير هؤلاء كثير .

ويقول القس : ونهى النبي أهل قريش عن تأدية مناسك الحج
والطواف ؛ لأنهم نجس .

وأقول : إن المشركين من أهل مكة جاء القرآن بأنهم يُمنعون
من الطواف والحج ، قال الله تعالى : ﴿ يَنْتَهِى الَّذِينَ آمَنُوا
إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا
وَلَوْ خَفِئَتْ عَيْنُكَ فَقَدْ غَفَا عَنْكَ اللَّهُ مِنْ قَبْلِهِ إِنَّ شَاءَ إِلَهٌ آخَرُ ﴾

عَلَيْكُمْ حَكِيمٌ ﴿١﴾ فامتثل رسول الله ﷺ أمر ربه ، فما الذى أغضب القس ؟

إن المشركين يعبدون الأصنام ، أتراهم يطوفون ويحجون بيتاً هو قبلة الموحدين ؟!

إن المشركات يطفن عاريات فهل ترى أن يُتْرَكْنَ يطفن بالبيت الذى يطوف به المسلمات المحتشمات ؟ بدهى لا . . . ومن هنا أمر الله سبحانه وتعالى المسلمين بمنع المشركين من الطواف بالكعبة التى هى قبلة المسلمين الموحدين ، ومكان عبادة الصالحين على طول التاريخ .

إن المشركين نجس ، نجاسة معنوية فهم يعبدون الأصنام يظنونها تؤثر فى الكون ، ونجاسة حسية فهم لا يبتعدون عن الأنجاس ، ومن هنا ﴿ فَلَا يَقْرَأُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ﴾ فإى استغراب فى هذا ؟

ثم يقول القس : وعلى الفور ادعى النبى أنه أوحى إليه قائلاً : ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَأُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَاهِهِمْ هَكَذَا ﴾ (٢) .

وأقول : إن قول القس : ادعى النبى أنه أوحى إليه بالآية الثامنة والعشرين من سورة التوبة ، قوله : « ادعى » تفيد أنه

(١) سورة التوبة ، آية ٢٨ .

(٢) سورة التوبة ، آية ٢٨ .

يُكَذِّبُ النَّبِيَّ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْ اللَّهِ ، وهذا منتهى الكفر ، والقس
أساسًا كافر بالإسلام وبرسول الإسلام ، ولكن تكذيب رسول
آمن به الملايين من البشر لا يصح لأى عاقل أن يجاهر بكفره به .
نعم : القس كافر برسول الله محمد ، لكن عليه أن يحترم شعور
الملايين من المسلمين ، وإلا فهو ساقط عن درجة المحاجة .

إن القرآن بعظمته يقيم أقوى الدليل على أنه كلام الله سبحانه
وتعالى ، يُسَلِّمُ بذلك العقلاء ، وبعد ذلك ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ
شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ ^(١) .

• وللمؤمنين كل السعادة والرضا من الله سبحانه وتعالى .

• وللكافرين كل الشقاء والغضب من الله عز وجل .

إن رسول الله محمدًا ﷺ لم يدع الوحي أيها القس ، وإنما
أوحى الله تبارك وتعالى إليه حقًا وصدقًا .

كذبة حب القتل والمال وتفنيدها :

ثم يقول القس : قام محمد بغزوة حنين وغنم غنائمها ولم
يكتف بذلك فشهوة القتل وسفك الدماء كانت متأصلة فيه ،
وحبه للمال والغنائم لم يكن له حدود .

وأقول : إنه صلى الله عليه وسلم قام بغزوة حنين ليوفر للناس
الحرية الدينية ، وكان في غاية الصفح والعفو ، وتطاولك على
هذا النبي المعصوم إنما هو الكذب والبغى والظلم ، تستر فيه

(١) سورة الكهف ، آية ٢٩ .

بالظلم الشائع في هذه الفترة من التاريخ والله يقول : ﴿ وَسَيَعْلَمُ
الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ (١) .

إنه صلى الله عليه وسلم لم تكن فيه شهوة قتل ، وإنما ما طلب منه
العفو إلا عفا ، وفي أقصى المواقف يعفو . قتل وحشى عم رسول الله
حمزة وحرّضته هند بنت عتبة على ذلك ، وقدر عليها فما قتل ، وإنما
صبر !! فصلّى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين .

لقد رفع أحد المشركين السيف عليه صلى الله عليه وسلم يريد
قتله ، فذكر الله . فوقع السيف من يد المشرك . فأخذه صلى الله
عليه وسلم . لكنه لم يقتله ، وعفا عنه ، وسيأتى هذا الحديث إن
شاء الله تعالى .

أما ادعاؤك الظالم أنه صلى الله عليه وسلم كان حب المال
والغنائم عنده ليس له حدود .

فأقول : لا وألف لا . إنه ما أراد المال ولا أراد الغنائم ،
والدليل على ذلك ما يلي :

• عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال : صلى بنا رسول الله ﷺ إلى
بغير من المغنم ، فلما صلى أخذ وبرة من جنب البعير ، ثم قال :
« لا يحل لي من غنائمكم مثل هذا ، إلا الخمس ، والخمس مردود
فيكم » (٢) .

(١) آخر سورة الشعراء ، آية ٢٢٧ .
(٢) أخرجه أبو داود في الجهاد باب في الإمام يستأثر بشيء من الفء لنفسه ٤٣٤/٧ ،
وهو حديث صحيح .

إنه صلى الله عليه وسلم يبين بكل وضوح أنه لا يحل له أدق شيء من الغنيمة إلا الخمس ، والخمس له ولمن معه في الآية ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ ^(١) هذا كله خمس واحد يوزع على الرسول وقرباته واليتامى والمساكين وابن السبيل . أما الأربعة أخماس الأخرى فهي للمجاهدين .

والخمس الذي له بين أنه مردود على مصالح المسلمين في السلاح والخيول ، وللضعفة ، إنه لا يجب المال ولا الغنائم معاشر من تحيدون عن الحق ، وتحرصون على الظلم !!

• وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم بمال من البحرين فقال : انثروه في المسجد ، وكان أكثر مال أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة ، ولم يلتفت إليه ، فلما قضى الصلاة جاء فجلس إليه ، فما كان يرى أحداً إلا أعطاه ، إذ جاءه العباس فقال : يا رسول الله ، أعطني فأني فاديت نفسي وفاديت عقيلاً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خذ ، فحشا في ثوبه ، ثم ذهب يُقِلُّه فلم يستطع . فقال : يا رسول الله مُر بعضهم يرفعه إلى . قال : لا . قال : فارفعه أنت علي . قال : لا . فنثر منه ثم ذهب يُقِلُّه فلم يستطع . فقال : مُر بعضهم يرفعه علي . فقال : لا . قال : فارفعه أنت علي . قال : لا . فنثر منه ثم احتمله ، فألقاه على كاهله ، ثم انطلق فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبعه بصره حتى خفى

(١) الآية ٤١ سورة الأنفال .

علينا ، عجباً من حرصه ، فما قام رسول الله ﷺ وثَمَ منها درهم» (١)

لقد جاءه صلى الله عليه وسلم مال كثير ، فلم يأخذ منه شيئاً ، وأنكر على عمه أنه أخذ منه . وهكذا يتضح أنه إمام الأمة في الامتثال لروح الإسلام ، والذي فيه ﴿ أَهْنَكُمُ الْكَافِرُ ﴾ (٢) حَتَّى دُرِّمَ الْمَقَائِرُ (٣) .

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « غزا نبي من الأنبياء (٤) ، فقال لقومه : لا يتبعني رجل ملك يَضَعُ امرأة (٥) وهو يريد أن يبني بها (٥) ، ولَمَّا يَبْنِ بِهَا ، ولا أحد بنى بيوتاً ولم يرفع سقوفها ، ولا رجل اشترى غنماً أو خِلَافَاتٍ وهو ينتظر ولادها ، فغزا ، فدنا من القرية صلاة العصر ، أو قريباً من ذلك ، فقال للشمس : إنك مأمورة وأنا مأمور (٦) اللهم احبسها علينا ، فحبست حتى فتح الله عليه ، فجمع الغنائم ، فجاءت - يعني النار - لتأكلها فلم تطعمها (٧) ، فقال : إن فيكم غُلُولاً ، فليبايعني من كل قبيلة رجل ، فلزقت يَدُ رَجُلٍ بيده . فقال : فيكم الغلول

(١) ذكره في جامع الأصول ٧١١/٢ ، ٧١٢ ، وعزاه للبخارى في الصلاة والجهاد .

(٢) أول سورة التكاثر .

(٣) هو يوشع بن نون ، غزا أريحا وهي بيت المقدس .

(٤) عقد عقد الزواج على امرأة .

(٥) تزف إليه ويدخل بها .

(٦) إنك مأمورة بالغروب ، وأنا مأمور بفتح القرية قبل الغروب .

(٧) أى لم تذقها ، وذلك لأن بعضهم كان قد سرق من الغنيمة ، والسرقة من الغنيمة تسمى : غُلُول .

فلتبايعنى قبيلتكَ ، فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده . فقال : فيكم الغلول . فجاؤوا برأس مثل رأس بقرة من الذهب ، فوضعها ، فجاءت النار فأكلتها ، فلم تحمل الغنائم لأحد قبلنا ، ثم أحل الله لنا الغنائم ، رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا ^(١) .

إنه صلى الله عليه وسلم يتحدث عن أحد الأنبياء السابقين ، يبين شيئاً من فطنته وما مَنَّ الله به على هذا النبي حتى إن الشمس تحبس ليُكمل ما أمر به .

وحينما يتكلم نبينا محمد ﷺ عن حل الغنائم لنا ، يتكلم بكل تواضع ، وبكل خلق حسن ، ويبين أن حل الغنائم لنا إنما هو بسبب ضعفنا وعجزنا . إنه لا يتعالى ، لا يتمايز ، لا يتكبر ، وهذا لكرم خلقه ﷺ ، وهو يبين أن الله سبحانه أحل الغنائم لأمة الإسلام دون غيرها من الأمم ، وأن الغنائم إنما هي للمجاهدين ولضعفة الأمة ، وعليه فلا يصح أن يتناول متناول عليه صلى الله عليه وسلم فيدعى أن حب المال والغنائم عنده ليس له حدود . ثم إنى أتساءل مع هؤلاء الجراء على خاتم رسل الله ، ماذا تقولون في قوله صلى الله عليه وسلم : « لا نورث ما تركنا صدقة » ^(٢) ، إنه لم يُرَدِّ المال ، ولم يطمع في الغنائم ، كيف وهو صلى الله عليه وسلم القائل : « مالى وللدنيا » ^(٣) .

(١) ذكره في جامع الأصول ٧١٤/٢ نقلاً عن البخارى في المزارعة باب المزارعة بالشرط ١٠/٥ ، ومسلم رقم ١٥٥١ .

(٢) أخرجه البخارى رقم ٦٧٢٨ ، ومسلم ١٧٥٧/٤٩ .

(٣) أخرجه البخارى رقم ٢٦١٣ .

ونام صلى الله عليه وسلم على حصير فقام وقد أثر في جنبه ،
فقلنا يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء^(١) ، فقال : « مالى
واللدينا ، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ، ثم راح
وتركها »^(٢) .

إن الإسلام دين لا يجعل غاية الإنسان الماديات ، وإنما يسمو
به فوق ذلك كثيرًا ، ورسول الله ﷺ إمام الأمة في ذلك ، لم يرد
الدنيا ، وَلَمْ يَمِلْ إلى المادة ، وإنما اجتهد في طاعة الله تعالى كل
الاجتهاد .

إننى لو شئت لذكرت لهؤلاء الهمّازين الكثير من النصوص
التي تبين زهده صلى الله عليه وسلم في الدنيا ، لكنى أكتفى بما
ذكرت خشية التطويل ، وكتب الزهد في المكتبة الإسلامية كثيرة .

ويقول القس : إن رسول الله ﷺ قام بغزوة تبوك وأجبر أهلها
على دفع الجزية - الإتاوة بلغة العامة - .

وأقول : إن رسول الله ﷺ ما بدأ بالشر ، وإنما هم الذين بدؤوه
بالشر ، فهم الذين قتلوا رسوله إليهم الحارث بن عمير الأزدي ،
وكان صلى الله عليه وسلم بعثه بكتاب إلى عظيم بصرى^(٣) .

وهم أى الروم هم الذين جمّعوا جموعهم لغزوه صلى الله عليه عليه

(١) فرائضنا لبيّننا .

(٢) أخرجه الترمذى في الزهد باب بعد بابين من باب ما جاء في أخذ المال بحقه ٤٨/٧
وقال : هذا حديث صحيح .

(٣) الطبقات الكبرى ١٢٨/٢ .

وسلم^(١) ، فعلم بذلك فقابلهم ، ولما علموا بقدومه صلى الله عليه وسلم وجيشه تفرقوا وعجزوا عن المواجهة ، فعقد صلحاً مع كثير من القبائل ، وأخذ منهم الجزية مقابل تأمينهم والدفاع عنهم ، ومقابل الأعباء التي يتحملها عنهم ، وهى نظير الزكاة المفروضة على المسلم .

الصحابة ليسوا سفاحين :

وينخلع القس من أخلاق الكلمة فيقول : وكان - أى رسول الله ﷺ - قد أعد جيشاً ضخماً لغزو سوريا - الشام - ووضع فيه كبار صحابته السفاحين .

وأقول : طواعك قلمك أن تنهم الصحابة الكرام بالسفاحين ، فبم نصف من قاموا بالحروب الصليبية ، ومحاكم التفتيش ، والحربين العالميتين ، وماذا نقول فيمن يرتكبون المجازر فى حق الإنسانية ، ويدمرون البيئة ، ويشردون الآمنين ؟

إن صحابة رسول الله ﷺ أثنى عليهم ربنا ، فلا قيمة لكلام مخلوق فيهم ، وأثنى عليهم نبينا ، فلن نقبل جرحاً فيهم ، وأنتم بالأساس مجروحون ، وكلامكم غير مقبول .

إن الله تبارك وتعالى قال فيهم ﴿ وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٢) .

(١) الطبقات الكبرى ٢ / ١٦٥ .

(٢) سورة التوبة ، آية : ١٠٠ .

وقال سبحانه : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (١) .

وقال رسول الله ﷺ : « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ،
ثم الذين يلونهم » (٢) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « دعوا لي أصحابي ، فوالذي
نفسى بيده لو أنفقتم مثل أحد - أو مثل الجبال - ذهبًا ، ما بلغتم
أعمالهم » (٣) .

إننا معشر المسلمين نعرف قدر نبينا وأصحابه ، نعرف ذلك من
القرآن والسنة ، ومن أراد الانتقاص فهو الناقص ، وهو المفتري
الكذاب ، وكلامه مردود ، وفكره مقلوب ، فكلام غير المسلم
لا يقبل في رسول الله الذي بلغ الإسلام إلى البشرية ، والكلام
الذي يخالف القرآن والسنة لا قيمة له عندنا ، بل كذب يؤذينا .

دس السم في الشاة :

والقس شامت كل الشماتة أن رسول الله ﷺ مات مسمومًا ،
وصنعت له امرأة يهودية السم في ذراع الشاة بعد شيها .

وأقول له :

١ - هذا يثبت ما فيكم أهل الكتاب من ظلم وإجرام ،

(١) سورة آل عمران ، آية ١١٠ .

(٢) أخرجه البخاري رقم ٢٦٥١ ، ومسلم ٢٥٣٥ .

(٣) أخرجه أحمد ٣١٩/٢١ رقم ١٣٨١٢ وقال محققه إسناده صحيح .

فرسول يزور قومًا أنصفهم وعدل فيهم ، يجلس بينهم ويأكل طعامهم يدسون له السم في الشاة ، هذا أعلا درجات الإجرام .
شيء من معجزات الرسول :

٢ - دس اليهود السم في الطعام لرسول الله ﷺ وبعض صحابته وأعلم الله رسوله بالأمر ، واعترفت الفاعلة أمامه صلى الله عليه وسلم ، فماذا كان ؟ إنه صلى الله عليه وسلم لم يقتلها ، ولم يقتلها أحد من الصحابة ولا من الصحابييات ، ولما مات أحد من أكل من الطعام قتلها صلى الله عليه وسلم قصاصًا .

وهكذا ما كان من أهل الكتاب ، وما كان من نبي الإسلام ، أمور تفيد إجرام الكثيرين منكم ، وتفيد عفوه ﷺ وكرمه .

٣ - لم يمت صلى الله عليه وسلم بالسم الذي وضعت اليهودية في الشاة ، وإنما عاش بعد ذلك أكثر من ثلاث سنوات ، نعم كان يعاوده بعض الألم في سقف الحلق في ميعادها ، مما جعل البعض يظن أنه مات شهيدًا ، جمع الله له بين النبوة والرسالة والهجرة والشهادة ، لكن حياته ثلاث سنوات بعد أن وضع السم في فيه ثم لفظه يدل على أنه لم يمت بالسم ، فلا تشمت أيها القس ولا يشمت أضرابك ، فأنتم الذين قدمتم السم ، وأنتم - أهل الكتاب - الذين قتلتم الكثير من الأنبياء .

والقس شامت أيضًا أن رسول الله ﷺ لم ير بنفسه فتح الشام الذي كان من أعظم أمانيه .

وأقول له : إن الله أرى رسوله ما يبلغ ملك أمته ، وأخبر

الأمة أن بلاد الشام بلاد إسلام ، فسواء عاش أو مات فهو على علم بما سيبلغ ملك أمته .

يقول صلى الله عليه وسلم : « إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقتها ومغاربها ، وإن أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها »^(١) .

ويقول صلى الله عليه وسلم : « لا يبقى على ظهر الأرض بيت مَدْر^(٢) ولا وبر^(٣) إلا أدخله الله كلمة الإسلام »^(٤) .

ألا فلا يشمت عدو ، فإن الله تبارك وتعالى أعلمه وأراه ، وأعلم صلى الله عليه وسلم الأمة ذلك .

غزوة مؤتة كانت لصالح المسلمين :

ويدعى هذا القس أن جيش الإسلام هُزم فى مؤتة . وهذه مغالطة ، فإن المصادر تفيد أن جيش المسلمين فى مؤتة كان موفقاً فى هذه المعركة ، وكانت خسائره محدودة للغاية^(٥) .

ثم يقول القس : ووجدت القبائل بموت الرسول فرصة للتحرر من سطوته فأعلنت خلع نير الاستعباد .

وأقول : هذه مغالطة ، فإن كانت القبائل خلعت نير الاستعباد ، فكيف ظل الإسلام شائعاً ، وفتحت البلاد وأسلم العباد ؟ إن قلة من

(١) أخرجه مسلم ٢٨٨٩ .

(٢) بيت المدر : البيت المبنى من الطين ، والمراد : أهل المبانى ؛ أهل المدن والقرى .

(٣) بيت الوبر : البيوت من الجلود والصوف ، والمراد أهل البادية .

(٤) أخرجه أحمد ٢٣٦/٣٩ رقم ٢٣٨١٤ ، وابن حبان ٩٢/١٥ رقم ٦٦٩٩ .

(٥) راجع فقه السيرة للبوطى ص ٢٧١ ، والطبقات الكبرى ١٢٨/٢ .

الناس فرضوا سلطانهم على قلة من الناس وادعى أحدهم النبوة كذباً فأخزاهم الله ، وأزال المسلمون سلطان هذا الطاغية ، وقلة من الناس ظنوا أن الزكاة تدفع للنبي فقط في حياته ، فردهم جيش الإسلام عن هذا الخطأ . فعادوا للإسلام مطمئنين .

كذبة الردة وتفنيدها :

ويدعى القس أن الناس أسلموا مكرهين ، ولذلك ارتدوا . وأقول له : كم عدد المسلمين الآن ؟ إنهم بحمد الله كثرة كثيرة ، فأين الارتداد ؟ إن المسلمين اعتزوا بدينهم حتى باعوا أنفسهم لله وفدوا رسول الله بأرواحهم .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْتَ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَدِّمُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبِشِرُوا لِلَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١) .

لماذا وقف المسلمون مع رسول الله في غزواته ، وأعداؤهم يشهدون أنهم كانوا يتبادرون المنايا ، أى أن كلاً منهم كان يحرص على أنه يستشهد قبل أخيه .

ليتك أيها القس قرأت بعين الباحث عن الحقيقة ، فلو فعلت ذلك لعرفت أن المسلمين أحبوا رسول الله ﷺ أكثر من أنفسهم ،

(١) سورة التوبة ، آية ١١١ .

وأحبوا الإسلام أكثر من أنفسهم .

عجبت لقولك : إن المسلمين ارتدوا بمجرد موت النبي ؟!

ما هذا الهراء وما هذه المغالطة ؟

لقد استقرت دولة الإسلام ، وما أن مات رسول الله ﷺ إلا تمسك المسلمون كل التمسك بالإسلام ، ونشروا الدين في كل أنحاء الأرض ، وكثرت البلاد المفتوحة ، وكانوا يفتحون البلد ، فينضم أهله لجيش الفتح ، ويشارك في فتح البلاد الأخرى .

صورة من ثبات المسلمين على دينهم :

إن التاريخ يشهد للمسلمين على طوله أنهم أكثر الأمم اعتزاز بدينهم ، ولقد حاول هرقل ملك الروم أن يغري بعض قادة الإسلام بالمال والملك ، ليخرجوا من الإسلام إلى المسيحية فما استطاع ، وليتك وأمثالك تقرؤون قصة عبد الله بن حذافة الذي أغراه هرقل بنصف ملكه على أن يترك الإسلام ، فكان رد عبد الله بن حذافة : لو أعطيتني جميع ما تملك ، وجميع ملك العرب ما رجعت عن دين محمد طرفة عين .

قال هرقل : إذا أقتلك .

قال ابن حذافة : أنت وذاك . فأمر به هرقل فصُلب . وقال للرملة : ارموه قريباً من بدنه ، وهو يعرض عليه - أى يعرض عليه أن يتنصر ويعطيه نصف امبراطورية الروم - ويأبى - أى يأبى ابن حذافة أن يتنصر - فأنزله ودعا بقدر ، فصب فيها ماء حتى احترقت - أى اشتد غليانها - ودعا بأسيرين من المسلمين ،

فأمر بأحدهما فألقى فيها ، وهو يعرض عليه النصرانية ، وهو يأبى ، ثم بكى . فقيل للملك : إنه بكى . فظن أنه قد جزع . فقال : ردوه . ما أبكاك ؟ قال : قلت هي نفس واحدة تُلقي الساعة فتذهب فكننت أشتهي أن يكون بعدد شعري أنفُس تلقى في النار في الله ^(١) .

ما هذا الثبات على الإسلام من عبد الله بن حذافة !!
وما هذا الثبات على الإسلام من أسرى المسلمين !!
ثم ما هذا الطغيان من أهل الصليب !! لماذا قتل الأسير ؟
ولماذا الحرق والغرق ؟ أهذه إنسانية النصرانية !!
أتستطيع أو أستطيع أى مخلوق أن يذكر لى إجراماً مثل ما فعله
هرقل بأسرى المسلمين حدث من أى قائد مؤمن برسول الله محمد
ﷺ ؟ إنك وأمثالك لن تستطيعوا ، وأنا واثق أن هذا لم يحدث من
مؤمن مطلقاً ، وإنما الذى حدث :

• إكرام الأسير ، قال تعالى في وصف المؤمنين : ﴿ وَيُطْعَمُونَ
الطَّعَامَ عَلَى حُبٍّ مَشْكِيئًا وَيَتَنَبَّأُونَ وَيُؤْتُونَ الْكِبْرَىٰ ﴾ ^(٢) .

• احترام حياة الإنسان ، قال صلى الله عليه وسلم : « لزوال
الدنيا جميعاً أهون على الله من دم تسفك بغير حق » ^(٣) ، وقال
صلى الله عليه وسلم أيضاً : « الكبائر : الشرك بالله ، وعقوق

(١) سير أعلام النبلاء ١٤/٢ ، وذكر محققه مراجعه في الهامش .

(٢) سورة الإنسان ، آية : ٨ .

(٣) أخرجه ابن أبى عاصم في الديات ، والبيهقى في الكبرى كذا في الكثر ٣٢/١٥ رقم
٣٩٩٤٧ .

الوالدين ، وقتل النفس ، وقول الزور»^(١) .

ادعائهم إكراه الغير على الإسلام :

ثم يهول القس فيقول : وكم أكره المسلمون أتباع محمد الأجناس والبلدان على تغيير دينهم وإلا فالسيف يعمل في الرقاب أو جزية لا طائل لهم بها .

وأقول : هذا افتراء زائد عن الحد ، وقد سبق أن ذكرت أن الإسلام لم يعرف الإكراه ، آيات في ذلك تتلى ، وتاريخ يخبر بأوثق طرق وصول الأخبار . بل إن الإسلام لم يقف عند حد عدم الإكراه على الإسلام ، وإنما أكرم غير المسلمين غاية الإكرام ، في العهد النبوي وعلى طول تاريخ أمة الإسلام ، حتى في زماننا يعيش أهل الأديان الأخرى وسط المسلمين بكل حرية وكرامة ، بينما المسلمون وسط أهل الديانات الأخرى يقاسون الكثير من الإهانات والويلات .

إن التاريخ لم يسجل حالة واحدة خُير فيها إنسان بين الإسلام والسيف ، ولم يسجل حالة واحدة أكره فيها إنسان على الإسلام ، ولقد رأيت في دولة مسلمة مؤسسات غير إسلامية تطلب موظفين فيتقدم لها الكثيرون من المسلمين ، فتسأل المتقدم : أنت مسلم محمد أو مسلم مسيح ؟ فإن قال : مسلم محمد ، طُرد بكل إهانة ، وإن قال مسلم مسيح طلب منه إقامة الدليل على ذلك ، والدليل عندهم يورث الكفر ، فعليه أن يسب محمدًا ودين محمد ، وعليه أن

(١) أخرجه البخاري ٢٦٥٣ ومسلم ٨٨/١٤٤ ، والنسائي في الكبرى رقم ٣٤٥٩ .

يمزق القرآن بنعليه !!! إنه إكراه على الخروج من الإسلام .
وهاهى الدنيا كلها تحكى عن دول غير إسلامية تكره المسلمين على
ترك أشياء من الإسلام ، بينما الدول الإسلامية والمسلمون لا
يفعلون شيئاً من ذلك .

أما الجزية التى يدعى القس أنها كانت لا طائل لأهل البلاد
المفتوحة بها ، فإنها لم تُفرض ظلماً ، وإنما فرضت مقابل الزكاة
التي كانت على المسلم ، وفرضت مقابل أن الإسلام يكفل لغير
المسلم الحياة الآمنة الكريمة .

وليتك تراجع كتاب حضارة العرب تأليف جوستاف لوبون^(١)
وتراجع كتابي « الإرهاب العالمى من يصنعه ومن يمنعه »^(٢) .

إن الكثيرين من المنصفين من المستشرقين والمؤرخين
والقساوسة يعترفون بإنصاف الإسلام وعظمته .

ثم يضع القس عنواناً طائشاً نصه : هكذا أجبروا المصريين على
اعتناق الإسلام .

وأقول له : ليتك تراجع كلام العلامة الفرنسى جوستاف
لوبون فى كتابه « حضارة العرب »^(٣) إذ يقول : وقد ذكرنا ما
كان عليه عمرو بن العاص من الخدق والمهارة نحو سكان مصر ،
فهو لم يتعرض إلى ديانتهم ولا إلى نُظُمهم ولا عاداتهم ، ولم
يطالبهم بغير جزية سنوية قدرها خمسة عشر فرنكاً عن كل رأس

(١) ص ١٣٤ وغيرها كثير . (٢) ٢٣ - ٣٦ ومعظم الكتاب .

(٣) ص ٢١٣ .

مقابل حمايتهم ، فرضى المصريون بذلك شاكرين .
ثم يقول هذا القس : أخيرًا محمد يشهد على نفسه أنه إرهابى ،
ويقول عن نفسه : إنه بعث بالسيف / وجعل الله رزقه فى ظل
رحمه / ونصره إلهه بالرعب ، وتوافقه مجموعة سما الدولية .
وأقول : أما أنه بعث بالسيف ، وجعل الله رزقه فى ظل رحمه ،
فهذا حديث أخرجه أحمد بلفظ : « بعثت بالسيف حتى يعبد الله لا
شريك له ، وجعل رزقى تحت ظل رعى ... » الحديث (١) .

لكنى أراك تستدل بهذا من بحر التعصب الأعمى ، فإنك ما
توصلت أنت وأضربك لهذا الحديث إلا ووجدتم كلام أئمة
الإسلام عنه ، وأنه حديث منكر ، وأنه لا يحتج به ، وأنه شديد
الضعف ، حكم بنكارته أحمد بن حنبل المتوفى ٢٤١هـ ، وذكره
البخارى معلقًا وبصيغة التمرىض (٢) ، والبخارى المتوفى ٢٥٦هـ
والحافظ ابن حجر المتوفى ٨٥٢هـ بين ما فى روايات هذا الحديث
من علل (٣) ومحققوا مسند أحمد بن حنبل جمعوا كلام كثير من
الأئمة على هذا الحديث (٤) .

ولست أدرى هل أنت وأشياعك تفهمون هذا الكلام ، إن
الحديث شديد الضعف ، ولا يليق أن يُستدل به ، ولا أن يذكر
إلا مع بيان حاله ، تأدية للأمانة العلمية .

(١) مسند أحمد ٩/١٢٣ ، رقم ٥١١٤ ، ٥١١٥ .

(٢) قبل حديث رقم ٢٩١٤ .

(٣) فى شرح ترجمة الحديث رقم ٢٩١٤ .

(٤) ج ٩ ، ص ١٢٣ - ١٢٧ .

السيف الإسلامى للعدل :

على أنه على فرض جمع الشواهد والتي تفيد أن الرسول ﷺ استعمل السيف والرمح ، فهذا زين لا شين ، فإن رسول الله ﷺ والمسلمين استعملوا السلاح والقوة لتحرير العباد ، ولإتاحة الفرصة للحق يراه الجميع ، ويؤمن به من شاء .

يقول إدوين كالغرى^(١) : « احتفظ المسلمون للأقليات غير المسلمة في البلاد التي فتحوها بحقوقهم وامتيازاتهم الدينية .

ويقول أيضًا : « في القرآن آية كريمة تفيض بالصدق والحكمة يعرفها المسلمون جميعًا ، ويجب أن يعرفها غيرهم ، وهى ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾^(٢) .

هذا كلام أمريكي نصرانى مثلك ، لكنه يبحث بإنصاف ، وأنت تبحث بمغالطة شديدة ، بل بكذب وافتراء .

الحرب في الإسلام لغاية سامية :

إن رسول الله ﷺ استعمل السيف والرمح لكن ليس لظلم العباد وإنما للإنصاف والعدل ، والتاريخ يشهد بذلك في سيرته صلى الله عليه وسلم ، وتاريخ الخلفاء والحكام المسلمين على مر التاريخ^(٣) .

(١) عضو البعثة العربية التي نظمتها الكنيسة في الولايات المتحدة سنة ١٩٠٩م إلى سنة ١٩٣٠م ، ومحاضر في مدرسة كيندى للبعثات .

(٢) الآية من سورة البقرة ، آية ٢٥٦ ، وكلام كالغرى نقلاً عن « الشرق الأدنى مجتمعة وثقافته » بإشراف كويلر يونج ص ١٦٣ ، ١٦٤ .

(٣) راجع كتابى : « الإرهاب العالمى من يصنعه ومن يمنع » .

إن الله سبحانه وتعالى أمر رسوله والأمة بالجهاد ، لكنه الجهاد الذى للحق والعدل ، يقول تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (١) .

ليت الأمم الأخرى تراعى هذه الآداب :

• قاتلوا الذين يقاتلونكم .

• ولا تعتدوا .

ماذا نفعل فيمن يقاتلنا ؟ إن الإسلام يبيح لنا أن نقاتله لكن بقدر !! ﴿ فَمَنْ أَعَادَى عَلَيْكُمْ فَأَعَادُوا عَلَيْهِ يُمِثِلْ مَا أَعَادَى عَلَيْكُمْ ﴾ (٢) .

فإذا ضعف عدونا فإن الإسلام لا يميز لنا حربه ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَأَجْتَنِّ لَهُمْ ﴾ (٣) .

والغاية من الحرب فى الإسلام سامية ، إنها لتحرير الإنسان ، إنها لرفع الاستبداد والاستعباد قال الله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونََ الَّذِينَ كُلُّهُمْ لِلَّهِ ﴾ (٤) هذه هى الغاية ﴿ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ أى حتى لا يفتن غير المسلمين أحداً فى دينه ، فيرغمون مسلماً على الكفر ، أو يمنعون غير مسلم من أن يسلم ، يمنعون بأى وسيلة ﴿ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونََ الَّذِينَ كُلُّهُمْ لِلَّهِ ﴾ أى حتى يكون الناس أحراراً فى دينهم .

(٢) سورة البقرة ، آية ١٩٤ .

(١) سورة البقرة ، آية ١٩٠ .

(٤) سورة الأنفال ، آية : ٣٩ .

(٣) سورة الأنفال ، آية : ٦١ .

ولذا فإن رستم - القائد الفارسي - لما سأل ربيعى بن عامر القائد المسلم : ما جاء بكم إلى بلادنا ؟

قال ربيعى - المجاهد المسلم - : الله ابتعثنا والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام^(١) .

إن من يقرأ تاريخ الفتوحات الإسلامية يتضح له أنها كانت بالحق والعدل ، كانت لإعلام الناس بالإسلام ، وإعطاء الناس الحرية في دينهم ، وعليه فلم يكن السيف للظلم ولم يكن الرمح للإذلال ، وإنما كان الجهاد للحق وسعادة الناس .

حديث «نصرت بالرعب» نعمة :

وأما حديث : . . . ونصرت بالرعب . . . والذي ساقه القس بطريقة غير أمينة ، ذلك أنه ذكر أجزاء الحديث السابق «بعثت بالسيف» و «جعل رزقى تحت ظل رحى» و «نصرت بالرعب» ثم عزا الأخير إلى البخارى في صحيحه ، مما يوهم القارئ أن الحديث بجمله الثلاث حديث صحيح ، وليس الأمر كذلك ، كما سبق أن بينت أن الجملتين الأولى والثانية هما من حديث مردود .

وحديث «نصرت بالرعب» لا يشهد لما يدعيه القس . فرسول أيده الله بأن يلقي سبحانه الرعب في قلوب أعداء دينه ، أى إرهاب فى هذا ؟

(١) تاريخ الطبرى ٣/٣٣ ، حياة الصحابة ٣/٧٦٦ ، البداية والنهاية ٧/٣٨ ، وحياة الصحابة ١/٢١٤ .

إنه لا إرهاب ولا إجرام فيه ، وإنما فيه كل الإنسانية ، ذلك أن المواجهة بين الجيوش أقوى أسباب هلاك البشر ، حتى قال ﷺ : « الحرب خدعة »^(١) أى أن جيش الإسلام عليه أن يستعمل الأساليب والحيل المؤدية إلى بلوغ غايته دون مواجهة مع الأعداء ما أمكن ، حتى لا يكثر القتل في صفوف جيش المسلمين ولا في صفوف الجيش الذى يُحاربهم .

فإلقاء الله الرعب في قلوب أعداء المسلمين إنما هو تأييد من الله لدينه ، ورحمة من الله لخلقه ، وهذا الرسول إنما هو رحمة من الله للخلق ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(٢) .

والقارئ لكثير من غزواته صلى الله عليه وسلم يجد ذلك واضحا ، ففي غزوة تبوك والتي سبق أن ذكرها القس خرج رسول الله ﷺ لملاقاة الروم ، وكان يعلم عدد جيشهم وأنه يزيد على مائتى ألف ، ذهب إليهم بجيش عداة ثلاثون ألف مجاهد ، فألقى الله الرعب في قلوب أعدائه ، فلم يجد أمامه أحدا منهم ، وتبعثر جيشهم قبل أى مقابلة ، مما حقن الدماء ، وما زاد ذلك رسول الله ﷺ إلا عفوا ، فلم يقتل ولم يأسر ولم يَختل بلادهم ، وإنما عقد الصلح مع كثير من البلاد المتاخمة لجزيرة العرب .

وهيئة كتبت اسمها « مجموعة سما الدولية » Sama Int group وضعت على الانترنت انتقادات تحت عنوان : بعض من صفات محمد .

(١) أخرجه البخارى ومسلم .

(٢) سورة الأنبياء ، آية : ١٠٧ .

وقد أجبت على الانتقاد الأول والثاني أثناء إجابتي على انتقادات القس جيرى فالويل .

أما الانتقاد الثالث عندهم فهو : يحرق معارضيه أحياء :

وتحت هذا العنوان نقلوا عن سيرة ابن هشام ما رواه بإسناده عن عبد الله بن حارثة قال : بلغ رسول الله ﷺ أن ناسًا من المنافقين يجتمعون في بيت سُويلم اليهودي ، وكان بيته عند جاسوم^(١) ، يُبْطِطون الناس عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، فبعث إليهم النبي ﷺ طلحة بن عبيد الله في نفر من أصحابه ، وأمره أن يحرق عليهم بيت سويلم ، ففعل طلحة .

استدل كاتبوا هذا النقد بهذه القصة على أن رسول الله محمدًا ﷺ كان يحرق معارضيه أحياء .

وأقول لهم : كذبتهم ، وذلك من عدة وجوه :

١ - لماذا لم تكملوا النقل حتى تكتمل القصة أمام القارئ ؟

لقد تركتم سطرًا واحدًا فلماذا ؟ أذكر تكملة القصة : فافتحم الضحاك بن خليفة من ظهر البيت فانكسرت رجله ، واقتحم أصحابه فأفلتوا .

إذن لم يُقتل واحد منهم ، بل إن الضحاك حسن إسلامه بعد ذلك وقال في ذلك شعرًا منه :

(١) اسم موضع .

كادت وبیت الله نار محمد
يشيط^(١) بها الضحاك وابن أبيرق
وظلّت وقد طبّقت^(٢) كبس^(٣) سويلم
أنوء على رجلی كسیرا ومزفقی
سلام علیکم لا أعود لثلها^(٤)
أخاف ومن تشمل به النار يُحرق
لقد برأ الضحاك من النفاق كما نجا من الحرق ، فلماذا
تدعون أن رسول الله يحرق معارضیه أحياء .
إننى أسألكم : من هم الذين حرقهم رسول الله أحياء ؟ بدهی
تعجزون عن الجواب .

٢ - اشتمل النقل الذى أخذتموه من سيرة ابن هشام على ذنب
هؤلاء المجتمعين فى بيت هذا اليهودى من المنافقين ، وأنهم كانوا
يشبطون همم الناس عن الخروج للجهاد مع رسول الله ﷺ .
وهذا عمل لا تقبله أى دولة فى العالم ، بل إن الدول تعاقب
بعضها عند التخاذل عن معركة قصدها دولة ، ولم تعاونها الأخرى .
إن هؤلاء المنافقين واليهود اجتمعوا يعادون رسول الله ﷺ
والمسلمين ويعارضون خطط رسول الله ﷺ ، فأرسل لهم من

(١) يحترق .

(٢) علوت .

(٣) البيت الصغير .

(٤) هذا يدل على أن الرجل ترك النفاق ، وعاد إلى الصواب ، وراجع الإصابة ٣/ ٤٧٥ .

يبعثهم ويعلمهم أنه على دراية بمجالسهم هذه ليرتدعوا ، إنه صلى الله عليه وسلم لم يحرقهم ، وإنما حرق البيت ، وبدهى أنه ما أراد بذلك حرقهم ، وإنما أراد تفريقهم ، فلما التجنى ؟

إن النص كما نقلتم : وأمره أن يحرق عليهم بيت سويلم ، ولو أنه صلى الله عليه وسلم أراد حرقهم لأمر طلحة أن يحرقهم ، ولكن الأمر ليس كذلك .

وهكذا تكذبون ، فرسول الله ﷺ ما حرق ، ولا أمر بالحرق وإنما بعثر أعداءه ، فهذه ميزة وليست بعيب .

ويضعون عنوان « المنتقم » وقد أجبت عليه أثناء ردى على القس جبرى فالويل .

شيطانه اسلم :

وتحت عنوان : « الشيطان قرين النبی » يذكرون أحاديث أن الصحابة - حينما أخبرهم رسول الله ﷺ أن كل إنسان له قرين من الشياطين - سألوه صلى الله عليه وسلم ، وأنت يا رسول الله ؟ فقال : نعم ، ولكن الله أعاننى عليه فأسلم ، فلا يأمرنى إلا بخير^(١) .

وذكروا أحاديث أخرى تفيد أن الشيطان عرض لرسول الله ﷺ فأمكن الله رسوله من الشيطان ، وكان فى قدرة رسول الله أن يربط الشيطان فى أحد أعمدة المسجد ، حتى يصبح الصغار

(١) مسلم ٢٨١٤ ، وأحمد رقم ٣٦٤٨ / ٦ ١٥٨ .

يلعبون به ، إلا أنه صلى الله عليه وسلم تذكر أن التحكم في الشياطين إنما هو من خصائص سليمان عليه السلام ، فاكتمى بزجره وإبعاده .

وأقول : الأحاديث التي ذكروها تبين وجهًا من نعم الله على رسوله ، فشیطانه أسلم ولا يأمر إلا بخير ، وهو صلى الله عليه وسلم أقوى من الشياطين حسًا ومعنى ، فلا يستطيعون الوسوسة له ، ولا إلحاق الضرر به . إنه صلى الله عليه وسلم يحفظه الله من كل قوى الشر الخفية من الجن والشياطين ، ويحفظه الله من كل قوى الشر الظاهرة وهذه أمور اختصه الله سبحانه وتعالى بها .

وأنساءل : أنتقدون نبيا لأنه قال إن له قريئا من الشياطين ، أم تعترفون بعظيم قدره ؛ لأنه أسلم شيطانه ، ولا تستطيع الشياطين التأثير عليه ؟

بدهى الثانى هو الصواب ، أما الأول فخطأ ، فكل إنسان له قرينه من الشياطين ، ولقد وسوس الشيطان لآدم .

إباحة الكذب لمصلحة :

وتضع هذه المجموعة عنوانًا آخر « الذى يُعلم أتباعه الكذب » : ويذكرون تحته ما ثبت أنه صلى الله عليه وسلم قال : « ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فيمُنَى خيرا أو يقول خيرا »^(١) . ونقلوا زيادة في مسلم عن ابن شهاب : « ولم أسمع يُرخصُ في

(١) البخارى رقم ٢٦٩٢ ، ومسلم ج ٤ ، ص ٢٠١١ رقم ٢٦٠٥/١٠١ .

شيء مما يقول الناس كذب إلا في ثلاث : الحرب ، والإصلاح
بين الناس ، وحديث الرجل امرأته ، وحديث المرأة زوجها .
وأقول لهؤلاء :

١ - ماذا تعتبون عليه صلى الله عليه وسلم في هذا ، أأباح
الكذب كله ؟ لا . أأباح شيئاً يضر ؟ لا . أليست الفطرة تسعد
بكل هذا ؟ إن القوانين تحتم الكذب في الحرب ، ومن صدق بإفشاء
سر دولته أو دين بالخيانة العظمى فقتل ! فلم تنتقدون النبي العظيم
بذلك ؟ إن دولكم وكل دول العالم تفعل أكثر مما فعل ، فحينما
أفشى حاطب بن أبي بلتعة سر دولة الإسلام لم يقتله رسول الله ﷺ
وإنما عفا عنه ، ولا أظن دولة في العالم تفعل ذلك .

٢ - ليس المراد بالكذب في الحديث قلب الحقائق ، وإنما
استعمال التعريض وفي الحديث : « إن في المعاريض لمندوحة عن
الكذب »^(١) فماذا لو أن جندياً وقع في الأسر فسئل عن جيشه ،
فقال : الناس كثيرون ، يوهم العدو كثرة جيشه ، ويقصد الناس
مطلقاً كثيرون ، إنه هنا ما أضر أحداً ، ولا كذب ، وماذا لو قال
الرجل لامرأته : إني أحبك . يقصد إذا أحسنت . وماذا لو أن
الذي يصلح بين الاثنين قال لكل منهما : إن الآخر يدعوك ،
وقصد أنه يدعو للناس وبالتالي فخصمه داخل فيهم .
إن إباحة ما فيه مصلحة هنا هو الحق بعينه ، والذي يعتبره

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ص ٢٩٧ ، رقم ٨٥٧ من كلام عمران بن حصين ،
وأخرجه ابن السني مرفوعاً رقم ٣٢٧ ، وأخرجه الشهاب ج ٢ ص ١١٩ رقم ١٠١١ .

كذباً هو إنسان جامد الفكر ، متعصب للباطل .
إن الكذب ما أحدث مضره . والذي أباحه صلى الله عليه وسلم هنا إنما فيه المصلحة .

٣ - لم يرخص رسول الله ﷺ في الكذب في هذه الثلاث ، وإنما هذا « مدرج » ولست أدري : هل هؤلاء الذين هم ليسوا من أهل الدراية بالسنة يفهمون أولاً . الذي يترجح عندي أنهم لا يفهمون « الإدراج » ولا مصطلحات علماء السنة . ويكفي أن أقول لهم : واضح مما سقتموه وسقته من صحيح مسلم أن ابن شهاب هو الذي أخبر بهذا إذا يقول : ولم أسمع يرخص في شيء مما يقول الناس كذب إلا في ثلاث . . . » .

إذن هذا واضح أنه ليس من كلام رسول الله ﷺ ، وراجع فتح الباري شرح حديث ٢٦٩٢ ففيه يوضح الحافظ ابن حجر أن إباحة الكذب في ثلاث إنما هو من كلام ابن شهاب الزهري ، وليس من كلام رسول الله ﷺ إنه صلى الله عليه وسلم أباح الكذب في الصلح بين الناس وبين أنه تستعمل فيه المعارض . فقام العلماء على ذلك ما كان فيه مصلحة .

٤ - إنني أتساءل مع هؤلاء المعارضين - مجموعة سما الدولية ومن على شاكلتهم - : ماذا لو أن صبيًا يجري فاخترًا عندي ، فجاء والده يسأل عنه وهو في ثورة غضب شديد . أأخرج له الصبي فيضربه وهو في ثورة غضبه مما قد يلحق ضررًا بالصبي قد يكون قاتلاً . أم أتستر على الصبي ، وأهدئ من روع والده ،

حتى إذا اطمأنتت لخروج الوالد من الغضب أخرجت الصبي ؟
بدهى الثانى هو الواجب ، ولا يقول عاقل إننى كذبت . لا ،
وألف لا . لا يمكن أن يقول عاقل : كان الواجب أن تصدق
وتخرج الولد وتسلمه لأبيه . إن هناك الضرر البشع ، ولا يمكن
أن يقول به إلا متنطع غليظ قاس .

إننى أتساءل مع الذين يعترضون على حديث إباحة الكذب
لمصلحة ، أتساءل معهم : ماذا لو استتر عندى رجل ، وجاء
خلفه رجل يريد أن يقتله ، أخبره أنه عندى ولا أكذب ؟ أم أنه
يجب على أن أكذب سواء عَرَضْتُ أم لم أعرض ؟

أعتقد أننى لو صدقت وقلت إنه عندى للعن كل من يعلم
بذلك هذا التصرف ، أما من سيرون دم الرجل يسيل فأعتقد أنهم
ربما ضربونى بكل قسوة قائلين : ما هذا هو حسن الخلق !!

وهكذا فإن رسول الله محمدًا ﷺ لا يُعَلِّمُ أتباعه الكذب كما
يدعى هؤلاء الكذابون ، وإنما يعلم أتباعه مراعاة المصلحة .
ولقد اتفق علماء الأخلاق : أنه يجوز الكذب عند الاضطرار ،
كما لو قصد ظالم قتل رجل وهو محتف عندك فلك أن تنفى كونه
عندك ، وتحلف على ذلك ولا تأثم .

ادعائهم اغتصاب صفية وتفنيده :

وتضع مجموعة سما عنوانًا آخر فى صفحتين مضافتين للسبع
صفحات السابقة ، هذا العنوان هو : أليس ما فعله الرسول هنا هو
الاغتصاب بعينه ؟ وذكروا تحت هذا العنوان شيئًا من قصة صفية

بنت حبي بن أخطب اليهودي ، وأن رسول الله ﷺ بعد أن أعتقها تزوجها ، وسبق أن تحدثت في ذلك أثناء ردي على القس جيري فالويل وعلى هذه المجموعة^(١) ، ولكنني أرد على تسائل لهذه المجموعة إذ يقولون : قتل أباهما وزوجها وقومها ثم أمر بصفية فحيزت خلفه ، وألقى عليها رداءه أليس هذا هو الاغتصاب بعينه ؟

وأقول : لو أنه صلى الله عليه وسلم قتل أهلها ليحظى بها لكان اغتصاباً ، لكن أهلها هم الذين حاربوه ، واجتهدوا في قتله وقتل أصحابه ، فلما نصره الله عليهم وقعت صفية في السبي ، وعرض عليها الإسلام فأسلمت فأعتقها وتزوجها . إن هذا أكرم ما يُصنع ، ولا أظن شخصاً مهما بلغ في الرقي يفعل ذلك ، ولدى من جرم الأمم الأخرى النماذج الكثيرة لا يتسع المقام لذكرها . إنه صلى الله عليه وسلم كم مد يد السلم لليهود ، إلا أنهم أصروا على الحرب والإفساد :

إن حبي بن أخطب والد صفية قائد بنى النضير هو الذي ألّب المشركين من قريش وغطفان على رسول الله ﷺ .

وهو الذي أخرج يهود قريظة من عهدهم مع رسول الله ﷺ وجعلهم ينضمون إلى المشركين واليهود ضد رسول الله ﷺ .

حبي بن أخطب والد صفية قائد بنى النضير هو الذي تأمر مع عدد من اليهود ليقتلوا رسول الله ﷺ بإلقاء حجر عليه وهو في ديارهم يتحدث معهم في أمر عام .

(١) ص ٢٨ .

أما زوجها - كنانة بن الربيع بن الحُقَيْق - والذي كان في خيبر فإن رسول الله ﷺ صالحهم على تسليم الأموال فكان كنانة أول من نكث ، فهدده المسلمون فأصر على الخلف ، وكان وآخرون قد قتلوا أحد الصحابة في حصن ناعم - أحد حصون خيبر - فسلم رسول الله ﷺ كنانة هذا لمحمد بن سلمة فقتله بأخيه محمود ابن سلمة .

إن كنانة هذا آذى المسلمين كثيرًا ، تأمر وقتل ، فما الغرابة أن يُقتل .

إنه صلى الله عليه وسلم لم يأخذ صفيّة من أناس أبرياء مسلمين ، وإنما قتل المقاتلين ، فلما وجدها وعرف ما في قلبها من حب الإسلام ترفق بها وجعلها في بيت النبوة ، فصلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين .

٢ - ويقولون : هل تتماشى فعلة الذي بعث ليتمم مكارم الأخلاق مع أدنى مكارم الأخلاق ، كان هو بالداخل يضاجع صفيّة وأحد صحابته يحرس الخيمة ؟

وأقول لهم :

١ - كل الوجهاء لهم حراسة ، ويكونون في مساكنهم والحراسة محيطة بهم ، ولا اعتراض ولا نقد ، فلماذا تعترضون على هذا عند رسول الله ﷺ ؟

لقد خاف الصحابي هذه اليهودية على رسول الله ﷺ ، فسهر قريبًا من الخيمة حتى إذا أرادت برسول الله ﷺ شراً فأثناء الشجار

سيطلب الرجل أن يتدخل ، إنه الصحابي الحريص على سلامة رسول الله شأن كل أصحابه ﷺ ، الذين لم يعرف التاريخ لهم مثيلاً في حبهم رسول الله ﷺ ، يقدونه بأرواحهم .

إن بقاء أبي أيوب قريباً من خيمة رسول الله ﷺ أمر لا يُستغرب ولا يتنافى مع مكارم الأخلاق ، ويبدو أن تندرکم به إنما هو من تصوركم أنه كان يجامع زوجته على مقربة ومسمع من هذا الصحابي ، وأنتم مخطئون في هذا ، فالأمر معركة والحال لا يقتضى جماعاً ، وأبو أيوب هو الذى تطوع بالحراسة ، وأخلاقه تبتعد به عن أن يكون فى مسافة يسمع منها ما يكون بين الرجل وزوجته فى الرضا ، أما عند الشجار فإنه ليقظته يسمع .

★ ★ ★

وختامًا :

- فواضح من كلام المنتقدين لرسول الله ﷺ ، الطاعنين في سيرته ، واضح أن كلامهم يرفضه المنصفون ، ذلك أنه كلام المبغض المتعصب المتحامل ، إنه كلام الموغل في عدائه للإسلام ، إنهم أناس يستغلون تطاول دولهم على دول الإسلام ، فراحوا يتطاولون على رسول الإسلام وعلى الإسلام ، ومثل هذا الكلام لا يمثل فكرًا ، ولا يقبله أهل الفكر السليم والمنطق القويم .
- ينكرون البدهيات ، فلكل مجتمع عقوباته ، يردع بها الشارد ، ويزجر بها المعتدى ، إلا أن هؤلاء ينتقدون رسول الله ﷺ لعقابه أى ظالم !! إنهم يريدونه إمام أمة لا يعاقب أحدًا ، وهم يعجزون أن يذكروا لنا أى مجتمع ليس له قانون عقوبات على مستوى العالم كله ، وعلى طول التاريخ .
- إنهم يحتجون بآيات من القرآن الكريم يؤولونها كما يشبع غيظهم ، وآيات أخرى تبطل تأويلهم هذا فلا يعيرونها اهتمامًا .
- ويحتجون بأحاديث نبوية ، غير سالكين المسلك الصحيح في الاحتجاج ، ومن هنا فلا يقيم العقل وزنًا لكلامهم .
- يكررون افتراءات قديمة ، قد أجيب عليها وقتلت بحثًا ، فدعوى انتشار الإسلام بالسيف مثلاً قد فُتدّها المسلمون والمنصفون من الأمم الأخرى ، بما لا يدع مجالاً للكلام فيها ، لكنهم يرددون الزيف معتمدين على قوة الإعلام ، راثين أنها تشيع غيظ أمثالهم من الحاقدين على الإسلام ، وهذا خارج دائرة العقل والفكر .

• يكذبون ولا يستحيون من خداع فكر القارئ !! فيدعون أنه صلى الله عليه وسلم قتل واغتال بينما لم يحدث شيء من هذا !! يقولون : إنه صلى الله عليه وسلم قتل أبا سفيان بن الحارث ، بينما تفيد المصادر التي اعتمدوا عليها أنه لم يقتله ، ويدعون أنه قتل أو أهدر دم كعب بن زهير بن أبي سلمى ، وقد أسلم كعب وحسن إسلامه .

ويدعون أنه صلى الله عليه وسلم اغتال النساء ومنهن هند بنت عتبة ، وهذه قد أسلمت ، واعتزت بالإسلام كل الاعتزاز .

والكذب أمر يقطع الصلة بين القارئ والكاتب ، بين المستمع والمتحدث ، فلا قيمة للقول المكذوب ، ولا احترام لمصدره .

• يعتبرون إجرامهم حلماً ، وحلم غيرهم إجرام !!

فيسعدون بدس اليهود السم في الشاة لرسول الله وأصحابه !! لا يستحيون من ذلك ولا يستقبحونه ، بينما يعتبرون إكرام رسول الله ﷺ لصفية بنت حيى إذ أعتقها وتزوجها يعتبرون ذلك إجراماً !!

وقلب الحقائق هكذا اهتراء وإهانة للعقل ، وانحدار إلى الخضيض بالفكر البشرى .

• إن هؤلاء المنتقدين قَلَبُوا الكثير من صفحات المراجع ، فلم يجدوا إلا مكارم الأخلاق في رسول الله وصحابته وأمته ، فحملهم حنقهم وغيظهم على المغالطات والافتراءات ، يظنون

أنهم بذلك يشوهون سيرته صلى الله عليه وسلم ، وما شوهوا إلا أشخاصهم وأممهم ، فالمغالطات شين لصاحبها .

• إن المنصفين من كل الأمم يعترفون بعظمة رسول الإسلام محمد ﷺ وأصحابه وأمته ، وكتبوا هذا الحق كثيرًا ، والعجب أن هؤلاء المتعصبين لم يستفيدوا بأقوال هؤلاء المنصفين على الرغم من أنهم من أممهم .

إن رسول الله ﷺ عاقب في أضيق الحدود وحيث يتحتم العقاب ، وعفا في أكثر المواقف ، وما انتقم لنفسه قط .

• سئل كعب الأحبار - أحد علماء اليهود وقد أسلم - كيف تجد نعت - صفة - رسول الله ﷺ في التوراة ؟ فقال : نجده محمد ابن عبد الله ، مولده بمكة ، ومُهاجره إلى طابة ، ويكون ملكه بالشام ، ليس بفتحاش ولا بصخباب في الأسواق ، ولا يكافئ بالسيئة ، ولكن يعفو ويغفر^(١) .

وقال عبد الله بن سلام - أحد علماء اليهود وقد أسلم - إن صفة رسول الله ﷺ في التوراة : يا أيها النبي أنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وحرزاً للأمينين ، أنت عبدى ورسولى ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخب بالأسواق ، ولا يجزى السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح .

ويقول المستشرق « سييل » في مقدمة ترجمته للقرآن : إنه كان

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ١/ ٣٦٠ .

حسن الوجه ذكياً ، وكانت طريقته مرضية ، وكان الإحسان إلى المساكين شيمته ، وكان يعامل الكل بالخلق الحسن^(١) .

• إنه صلى الله عليه وسلم عامل الناس بالإحسان ، وعلمهم ذلك ، شهد بذلك أتباعه ، كما شهد به أعداؤه ، وجاءت نصوص الإسلام تحتم ذلك ، تأمر بالعفو ومقابلة السيئة بالحسنة ، وتعلم المسلم مكارم الأخلاق ، ولقد كان صلى الله عليه وسلم أكثر الناس امتثالاً لهذه النصوص .

• وأتباعه صلى الله عليه وسلم على هذا الخلق الرفيع ، من الصفح والعفو ، والحلم والكرم إلى كل المكارم .

فصل اللهم وسلم وبارك عليه وعلى آله واصحابه ومن اهتدى بهديهم وسار على نهجهم إلى يوم الدين .

★ ★ ★

(١) ص ٦ طبعة سنة ١٨٠٥م نقلاً عن كتاب «محمد رسول الله هكذا بشرت الأنجيل» للكاتب / بشرى زخارى ميخائيل . كاتب مسيحي . ويراجع هذا الكتاب في هذا الموضوع .

الفهرس

الصفحة

الموضوع

٣	• تقديم
٧	• الرد على القس وشاكلته
٧	• ادعاؤهم أن رسول الله محمدًا يقتل !!
٧	• تفنيد هذا الافتراء
١٠	• قتل العرنيين والتمثيل بهم وتفنيد ذلك
١١	• تحريق المتأخرين عن الجماعة وتفنيد ذلك
١٩	• ادعاؤهم قطع يدى ورجلى هبار وغيره وتفنيد ذلك ..
	• ادعاؤهم أن الصحابة قتلوا وحملوا رأس الأسود
٢٤	• العنسى من اليمن إلى المدينة وتفنيد ذلك
	• ادعاؤهم أن رسول الله مثل بسبعين من أعدائه مقابل
	تمثيلهم بعمه حمزة ، وتفنيد ذلك
	• ادعاؤهم أن رسول الله يجلد ويسب ويلعن وتفنيد
٢٢	• ذلك
٢٤	• الرسول يعطى القصاص من نفسه
٢٨	• ادعاؤهم أن رسول الله اغتصب صفية وتفنيد ذلك ..
١٠٥	

الصفحة	الموضوع
٢٩	ادعائهم أن الغزوات كانت للسلب وتفنيد ذلك
٣٠	المعاهدة بين المسلمين واليهود
٣١	الرسول لم يبدأ بإعلان حرب
٣٢	الإسلام لا يميز الاعتداء
٣٣	وصايا رسول الله جيش المسلمين
	شهادات المسيحيين واليهود وغيرهم بعظمة الرسول
٣٤	والمسلمين
٣٥	الغنائم والأنفال ليست نهباً ولا غصباً
	احترامه صلى الله عليه وسلم أموال وبيوت المسيحيين
٣٦	واليهود
٣٨	رغبة رسول الله عن المال
٤٠	افتراءهم أن اليهود رفضوا الإسلام وتفنيد ذلك
٤١	مسيحيون ويهود أسلموا وحسن إسلامهم
٤٤	افتراءهم أن الإسلام انتشر بالسيف وتفنيد ذلك
٤٧	افتراءهم أن الرسول صنع مذبحه وتفنيد ذلك
	اعتراضهم على حديث « لا يجتمع بجزيرة العرب دينان »
٤٨	وتفنيد ذلك

الموضوع	الصفحة
افتراؤهم أن الرسول أباح الاغتيالات وتفنيده ذلك ..	٥٠
قسوة الأمم الأخرى	٥١
رحمته صلى الله عليه وسلم	٥٢
صور أخرى من قسوة اليهود والنصارى	٥٤
افتراؤهم اغتيال ابن الأخطل وتفنيده	٥٦
كذبهم في اغتيال أبي سفيان بن الحارث	٥٧
اغتيالات أخرى يفترونها وتفنيدها	٥٩
الحرية الدينية في فتح مكة	٦٧
افتراؤهم حبه القتل والمال وتفنيده	٧٠
اعتراضهم على الجزية وتفنيده	٧٥
الصحابة أخیار ، لا سفاحین	٧٦
دس اليهود السم للرسول في الشاة	٧٧
شئ من مناقب الرسول	٧٨
افتراؤهم هزيمة المسلمين في مؤتة	٧٩
افتراؤهم رفض المسلمين الإسلام بعد موته صلى الله عليه وسلم	٨٠

الصفحة	الموضوع
	صورة من ثبات المسلمين على دينهم قصة عبد الله
٨١	ابن حذافة
٨٢	افتراؤهم إكراه الغير على الإسلام
٨٤	عود إلى الجزية
	افتراؤهم أن المصريين أكرهوا على الإسلام وتفنيده ذلك
٨٥	احتجاجهم بحديث لا يحتج به إلا جاهل
٨٦	السيف الإسلامى لإقامة العدل
٨٦	الحرب فى الإسلام لغاية سامية
٨٨	حديث « نصرت بالرعب » نعمة
٩٠	افتراؤهم حرق المعارضين وتفنيده
٩٢	يشوشون بأن الرسول له قرين من الشيطان والرد عليهم
	ويشوشون بأن الرسول أباح الكذب فى مواضع ودفع
٩٣	ذلك
٩٦	عود إلى قصة صفية والرد عليها
١٠٠	الختام

كتب للمؤلف

- طرق تخريج حديث رسول الله ﷺ ، طبع دار الاعتصام .
- طرق تخريج أقوال الصحابة والتابعين والتخريج بالكمبيوتر . طبع مكتبة الإيمان .
- المدخل إلى السنة النبوية « بحوث في القضايا الأساسية عن السنة النبوية » طبع دار الاعتصام .
- مسند علي بن الجعد « أحد شيوخ البخاري » تحقيق ودراسة . طبع مكتبة الفلاح بالكويت .
- السنة النبوية : مكانتها ، وعوامل بقائها ، وتدوينها . طبع دار الاعتصام .
- علم الجرح والتعديل ، قواعده وأهمته . طبع المؤلف ، ويطلب من مكتبة الإيمان .
- السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة . طبع نهضة مصر ، وطبع المؤلف ، ويطلب من مكتبة الإيمان .
- رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للنووي . تحقيق ودراسة . طبع دار القرآن « نفذ » .
- كيف نصوم رمضان « رسالة صغيرة » طبع مكتبة الإيمان .
- رسالة إلى كل مريض « رسالة صغيرة » طبع مكتبة الإيمان .
- الرد على د/ مصطفى محمود في إنكار الشفاعة ، والرد على لواء متقاعد / محمد شبل في إنكار يوم عرفة « رسالة صغيرة » طبع دار الاعتصام .
- دفع أباطيل د/ مصطفى محمود في إنكار السنة النبوية . طبع دار الاعتصام .
- د/ مصطفى محمود إلى أين ؟ « رسالة صغيرة » طبع دار الاعتصام .
- دفع الشبهات عن السنة النبوية . الناشر مكتبة الإيمان .
- معجزات الرسول ﷺ التي ظهرت في زماننا « القسم الأول : الإسلام » .
- معجزات الرسول ﷺ التي ظهرت في زماننا « القسم الثاني : أمة الإسلام » . طبع مكتبة الإيمان .
- معجزات الرسول ﷺ التي ظهرت في زماننا « القسم الثالث : الفتن » تحت الطبع .

أحاديث معه جزالة الرسول

التي ظهرت في زماننا

المجزلة الثاني

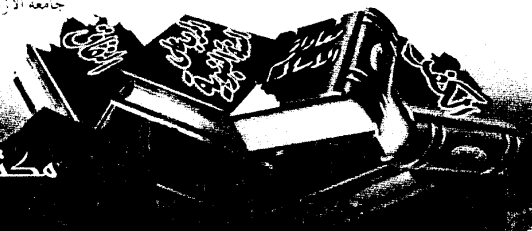


مختار
مختار (مختار) مختار (مختار) مختار (مختار)
استاذ الحديث بجامعة الأزهر

كَفَّحُ الشُّبُهَاتِ عَنِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ



تأليف
أ.د/عبدالمهدي عبد القادر عبد الهادي
مستأذ حديث بكية أصول الدين
جامعة الأزهر



مكتبة الإيمان

المدخل إلى السنة النبوية

بحوث في القضايا الأساسية عن السنة النبوية

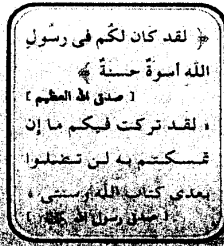
تأليف

الأستاذ الدكتور الشيخ أبو محمد

عبدالمهدي بن عبد النادر بن عبد الحادي

أستاذ الحديث وعلومه بكلية أصول الدين

جامعة الأزهر



رقم الإيداع ٢٠٠٤ / ١٦٨٩٦